

الاستراتيجيات اللغوية للانتقالات الموضوعية في سورتي (الأنبياء) و(الشعراء) مقاربة تداولية لبنية الخطاب القرآني

*Linguistic Strategies of Thematic Transitions in Al-Anbiya and Ash-Shu'ara Quranic Chapters
A Pragmatic Approach to the Quranic Discourse Structure*

Asst. Prof. Dr. Taghreed Abd Falhi Al-Khalidi

أ.م.د. تغريد عبد فليحي الخالدي

University of Kufa / Faculty of Education

جامعة الكوفة / كلية التربية

Taghreed.a.kaduom@uokufa.edu.iq

تاريخ النشر: ٢٠٢٦ / ٩ / ٣٠

تاريخ القبول: ٢٠٢٦ / ٩ / ٩

تاريخ التقديم: ٢٠٢٦ / ٨ / ٣٠

ملخص

لما كانت مقاصد السور القرآنية متعددة وأغراضها متنوعة، فإن هذا البحث يحاول الإجابة عن سؤال علمي مفاده: (هل كانت الانتقالات الموضوعية تعتمد على استراتيجيات لغوية معينة في الانتقال بينها؟ أو أنها انتقالات عشوائية اعتباطية تتبع واقع الحال في سرد الجمل وترتيب الموضوعات والأفكار؟) وتفترض الباحثة للإجابة عن هذا السؤال: إن (الخطاب القرآن المقدس كانت له استراتيجيات لغوية خاصة للانتقالات الموضوعية، تراعي مقام التخاطب وغاياته)، وقد اختار البحث سورتي الأنبياء والشعراء لدراستهما واختبار هذه الفرضية، غيرهما. وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد وضحنا فيه مفهوم (الاستراتيجيات اللغوية)، ثم حددنا في المبحث الأول مقاصد كل من السورتين وموضوعاتهما الجزئية والوحدة الموضوعية لكل منهما، وختم المبحث برسم مخطط ذهني لمقاصد كل سورة من السورتين، وفي المبحث الثاني تناول البحث الاستراتيجيات المعتمدة في الانتقالات الموضوعية بين المحاور الرئيسة لكل سورة، وتحليلها تركيبياً وتداولياً، أما المبحث الثالث فدرس الاستراتيجيات اللغوية المستعملة للانتقال بين موضوعات الفقرات الفرعية لكل محور في كل من السورتين، وتحليل تلك الاستراتيجيات، ومقرنتها ببعضها؛ لكشف دلالاتها ووظائفها التداولية في التركيب، وإثبات فرضية البحث، وفي ختام البحث عرضنا أهم النتائج التي حققها البحث وأولها إثبات صحة فرضية البحث، وتحديد الاستراتيجيات اللغوية التي استعملت في الانتقالات الموضوعية في المحاور الرئيسة وفي الفقرات الفرعية ضمن كل محور ونسبها المئوية، وبيان الوظائف التداولية التي أدتها كل استراتيجية لغوية ضمن الخطاب القرآني، وأوصى البحث بمتابعة هذا المنهج في الدرس القرآني.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجيات اللغوية، الخطاب القرآني، سورة الأنبياء، سورة الشعراء

أيلول ٢٠٢٦ م / لابيع الأول ١٤٤٨ هـ

السنة: الحادية والعشرون

العدد: ٥٦ / المجلد: ٢

DOI: <https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i56.25285>



Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).
مجلة كلية الفقه - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤.٠ الدولي

Submission date: 30 / 08 / 2026

Acceptance date: 09 / 09 / 2026

Publication date: 30 / 09 / 2026

Abstract

Given the various purposes and diverse objectives in Quranic chapters, this research seeks to address the following scholarly question: Do thematic transitions rely on specific linguistic strategies, or are they random and arbitrary shifts dictated merely by the flow of sentences and the arrangement of topics and ideas? To answer this, sacred Quranic discourse is posited to employ distinct linguistic strategies for thematic transitions, i.e. strategies that take into account the communicative context and its objectives. The study focuses specifically on Al-Anbiya and Ash-Shu'ara chapters to examine and test this hypothesis.

The present study is divided into three sections, preceded by an introduction that defined the concept of "linguistic strategies." In the first section, the objectives, specific themes, and thematic unity of each of the two chapters were identified, concluding with a mind map illustrating the objectives of each. The second section addressed the strategies employed for thematic transitions between the main axes of each chapter, analyzing them from both syntactic and pragmatic perspectives. The third section examined the linguistic strategies employed to transition between the topics of the sub-paragraphs within each thematic axis of the two chapters. These strategies were analyzed and compared to reveal their significance and pragmatic functions within the syntactic structure, thereby substantiating the research hypothesis. The study confirmed the validity of the research hypothesis; identifying the linguistic strategies used for thematic transitions along with their respective frequencies; and elucidating the pragmatic functions performed by each strategy within the Quranic discourse. Finally, the study recommended the continued application of this methodological approach in Quranic studies.

Keywords: Linguistic strategies, Quranic discourse, Surah Al-Anbiya, Surah Ash-Shu'ara.

العدد: ٥٦
المجلد: ٢
السنة: ٢١
١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

الاسماء التيمات اللغوية للانتقالات الموضوعية في سورتي (الأنبياء) و(الشعراء)
مقاربة تداولية لبنية الخطاب القرآني

مقدمة

القرآن الكريم وإن كان كتاباً سماوياً نازلاً بوصفه معجزة لإثبات نبوة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، إلا أنه في الوقت ذاته كان كتاباً تشريعياً قنن جوانب الحياة الإنسانية، ونظم مفرداتها اليومية، وكان سبيل إعجازه أنه سار في مخاطبة العرب الذين نزل بينهم على سنن كلامهم، ولم يخرج عن المألوف في أنماطهم التخاطبية، ولكنه من الجهة البلاغية واللغوية كان قمة ما يمكن أن ينظم في لغة العرب، فوقف دهاة العرب أمامه عاجزين.

كل سورة من سور القرآن الكريم تمثل جزءاً مستقلاً تنظمه وحدة موضوعية، وغاية خطابية، ولقد كانت الموضوعات الداخلية تنساب بكل سلاسة في أجزاء السورة الواحدة، حتى كأن القارئ لا يكاد يشعر بانتقاله من موضوعة جزئية إلى موضوعة أخرى في السورة الواحدة، لكنه إذا أنعم النظر، وأجال الفكر يمكنه أن يرسم مخططاً موضوعياً لكل سورة من سور القرآن الكريم، وتكرار ذكر بعض الموضوعات الجزئية في سور متعددة لا يمثل تناقضاً بينها، ولا تشعر به تكراراً ثقيلاً، بل ينسجم كل موضوع جزئي في نسق متماسك داخل كل سورة من سورهِ المباركة، ويؤدي وظيفة تداولية غاية في الدقة والانسجام، وعلى الباحث أن يدقق الفحص والتنقيب؛ ليستكشف مواطن الجمال في هذا النص اللغوي السماوي.

يحاول هذا البحث أن يكشف عن الاستراتيجيات اللغوية في الانتقالات الموضوعية داخل أجزاء السورة الواحدة، ومعرفة كيفية تمكن هذا النص المقدس من التنقل بين موضوعات متعددة في وحدة سياقية بلغت غاية النظم ومنتهى الجمال، ويحاول البحث أن يجيب عن سؤال مركزي يدور في ذهن الباحثة مفاده: (هل كانت الانتقالات الموضوعية تعتمد على استراتيجيات لغوية معينة في الانتقال بينها؟ أو أنها انتقالات عشوائية اعتباطية تتبع واقع الحال في سرد الجمل وترتيب الموضوعات والأفكار؟) وتفترض الباحثة للإجابة عن هذا السؤال: إن (الخطاب القرآني المقدس كانت له

استراتيجيات لغوية خاصة للانتقالات الموضوعية داخل السورة الواحدة، تراعي مقام التخاطب وغاياته).

اختار البحث سورتين من سور القرآن الكريم لدراستهما في محاولة للإجابة عن سؤال البحث المركزي وإثبات الفرضية التي افترضها البحث. وقد تمّ اختيار سورتي (الأنبياء) و(الشعراء) لما بينهما من تشابه في الموضوعات الجزئية الداخلية؛ ولتتاح للباحثة فرصة رصد الاستراتيجيات اللغوية للانتقالات الموضوعية في السورتين، ثم قياس هذه الاستراتيجيات في السورتين لتصل إلى جواب واضح وعلمي لسؤال البحث الرئيس.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن ينقسم على ثلاثة مباحث، وتمهيد: عرض التمهيد الجانب النظري من خلال تعريف مفهوم (الاستراتيجيات اللغوية). ثم تناول البحث في مبحثه الأول بيان مقاصد كل من السورتين وموضوعاتهما الجزئية والوحدة الموضوعية لكل منهما، راسماً بذلك مخططاً ذهنياً لمقاصد كل من السورتين عبر محاور رئيسة ثم مقسماً تلك المحاور على فقرات موضوعية، وفي المبحث الثاني تناول البحث الاستراتيجيات المعتمدة في الانتقالات الموضوعية بين المحاور الرئيسة لكل سورة، وتحليلها تركيبياً وتداولياً، أما المبحث الثالث فدرس الاستراتيجيات اللغوية المستعملة للانتقال بين موضوعات الفقرات الفرعية لكل محور رئيس في كل من السورتين، وتحليل تلك الاستراتيجيات، ومقارنتها ببعضها؛ لكشف دلالاتها ووظيفتها التداولية في التركيب، وختم البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائجه.

وبعد رحلة بين آيات كتاب الله لا يمكن للباحثة في ختامها إلا أن تحمد الله وتشكره على ما تفضل به عليها من نعمة التدبر في آيات كتابه المعجز وتلمس جانب من جوانب جمالياته الخطابية، شاكرة كل من أبدى لها المساعدة العلمية في سبيل إنجاز هذا البحث.

تمهيد: مفهوم (الاستراتيجيات)

مفهوم (الاستراتيجية) من المفاهيم المركزية التي انتقلت من المجال العسكري إلى الحقول المعرفية المتعددة وتوسع استعماله حتى غدا مصطلحاً إنسانياً عابراً للتخصصات، ويستعمل في السياسية، والإدارة، والاقتصاد، والتربية، واللسانيات، وعلم النفس، وغيرها.

وقد انتقل مصطلح الاستراتيجية في النصف الأول من القرن العشرين إلى الثقافة العربية عبر حركة الترجمة الأكاديمية وازدياد التأثير بالمناهج الغربية في العلوم العسكرية والسياسية ونقل المعرفة الإنسانية، وشاع استعماله في القطاعات المعرفية المتعددة، وقد أدرج المعجم الوسيط مفهوم الاستراتيجية ضمن محتوياته، معرفاً إياها بأنها "الاستراتيجية: فنُّ استخدام الإمكانيات والوسائل المتاحة استخداماً أمثل لتحقيق الأهداف المرجوة" (مجمع اللغة العربية، (٢٠٠٤)، ١/٤٣٨). وقد أشار المعجم الوسيط إلى الأصل العسكري لهذا المفهوم وتوسعه الدلالي، ويعد إدراجه لهذا المفهوم ضمن قائمة كلماته مؤشراً مهماً على استقرار المصطلح في الثقافة العربية المعاصرة وتفشي استعماله في اللغة العربية العلمية.

مصطلح الاستراتيجية اللغوية:

تُعَدّ الاستراتيجيات اللغوية التي يتبناها المتكلم في نظم كلامه من القضايا المركزية في الدراسات التداولية وتحليل الخطاب؛ لأنها تكشف الكيفية التي يُدير بها المتكلم خطابه، وينتقل من موضوع إلى آخر مع المحافظة على الترابط والانسجام. ولا يجري الانتقال الموضوعي بصورة عشوائية، بل يخضع لجملة من الآليات اللغوية والتداولية التي تُراعي المقام، وطبيعة المتلقي، والغاية التواصلية. وقد أشار عبد الهادي الشهري إلى أنَّ الخطاب يقوم على "اختيار استراتيجيات معينة وفق معايير اجتماعية ولغوية ومقصدية" (الشهري، ٢٠٠٤، ص ٤١). وأكدت الدراسات التداولية الحديثة أنَّ

الاستراتيجية ليست بنية لغوية ثابتة، بل ممارسة تواصلية تتغير بحسب المقاصد، والظروف التواصلية.

وقد تناول عدد من الباحثين موضوع الاستراتيجيات الخطابية والانتقالات الموضوعية ضمن إطار تحليل الخطاب والتداولية. ويُعدّ (جون سيرل John Searle) و(بُل غرايس Paul Grice) من أبرز المنظرين الذين أسهموا في تفسير العلاقات التداولية داخل الخطاب؛ إذ بيّن غرايس أنّ المتكلمين يلتزمون بمبدأ التعاون الذي يوجّه تنظيم الحديث وانتقالاته الموضوعية. أما سيرل فقد ربط الانتقال بين الموضوعات بالأفعال الكلامية التي تُنجز وظائف متعددة داخل الحوار. (Grice, 1975, pp.41-58;) (Searle, 1969)

وفي الدراسات العربية برزت أعمال عبد الهادي الشهري في كتابه استراتيجيات الخطاب التي تناولت الاستراتيجيات (التوجيهية والإقناعية والتلميحية والتضامنية) بوصفها أدوات لتنظيم الخطاب وتحقيق التواصل. وناقشت بحوث عربية حديثة البنية التداولية للخطاب السياسي والصحفي وطرائق الانتقال بين القضايا والأفكار، على وفق مقاصد المتكلم والسياق الاجتماعي (برارات، ٢٠٢٠، ص ٣٦١-٦٧٠).

يتحقق الانتقال من موضوع إلى آخر في كلام الفرد عبر وسائل لغوية متعددة منها: أدوات الربط، والإحالة، والتكرار، والاستفهام، والتعليق التفسيري، والتدرج الحجاجي. فالخطيب أو المتحدث قد يستعمل عبارات مثل: "أما بعد"، أو "ومن جانب آخر"، أو "وهذا يقودنا إلى"، لتوجيه انتباه المتلقي نحو موضوع جديد مع الحفاظ على استمرارية الخطاب، وقد يعتمد الانتقال الضمني عبر التلميح أو الاستدعاء الدلالي من دون التصريح المباشر بتغيير الموضوع (عيدان، ورشيد، ٢٠٢٥).

وتُظهر الدراسات التداولية أنّ نجاح الانتقال الموضوعي يرتبط بقدرة المتكلم على المحافظة على الانسجام النصّي وعدم إحداث قطيعة دلالية مفاجئة داخل الخطاب. وقد بيّنت بعض الدراسات في تحليل الخطاب السياسي أنّ الانتقالات الموضوعية

تُستعمل أحياناً لأغراض حجاجية وإقناعية، مثل تحويل انتباه الجمهور من قضية إلى أخرى أو إعادة تأطير النقاش بما يخدم أهداف المتحدث. ويعود تنوع المتكلم لاستراتيجياته اللغوية إلى عوامل متعددة، أهمها اختلاف المقاصد التواصلية وتنوع المقامات الاجتماعية والنفسية، فالمتكلم لا يستخدم الاستراتيجية نفسها في السياقات جميعها؛ لأنّ طبيعة المخاطب، ودرجة الرسمية، والعلاقة الاجتماعية، والهدف من الحديث تفرض اختيار أدوات لغوية معينة دون غيرها.

إنّ تنوع الاستراتيجيات يمنح الخطاب مرونة وقدرة على التأثير والإقناع، ويُجنب المتكلم الرتابة والتكرار. وقد أوضحت الدراسات التداولية أنّ المتكلم يختار استراتيجياته على وفق ما يُسمى "الكفاءة التواصلية"، أي القدرة على توظيف اللغة بصورة ملائمة للمقام والسياق (برارات، ٢٠٢٠، ص ٣٦١-٦٧٠). وتكمن أهمية دراسة تنوع الاستراتيجيات اللغوية في كونها تسهم في فهم البنية العميقة للخطاب وآليات إنتاج المعنى. فهذه الدراسات تساعد الباحثين على تحليل الخطابات السياسية والإعلامية والتعليمية والكشف عن المقاصد الضمنية وأساليب التأثير والتوجيه. كما تفيد في تعليم مهارات التواصل والخطابة، وتطوير مناهج تحليل الخطاب، ودراسة التفاعل الاجتماعي داخل اللغة. وفي الدراسات اللسانية الحديثة أصبحت الاستراتيجيات الخطابية مؤشراً على الكفاءة التداولية للمتكلم؛ إذ تكشف عن قدرته على إدارة الحوار والتحكم في مساراته الموضوعية بطريقة تحقق الانسجام والتأثير. كذلك تُفيد هذه الدراسات في مجالات الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية؛ لأن فهم الانتقالات الموضوعية يساعد في بناء أنظمة قادرة على تحليل الحوارات البشرية وتمثيل البنية التداولية للنصوص (عبد الباقي وأحمد، ٢٠٢١، ص ١١٠-١٢٦).

وخلاصة القول إنّ الاستراتيجيات اللغوية للانتقالات الموضوعية تمثل جانباً جوهرياً من كفاءة المتكلم التداولية؛ لأنها تنظم حركة الخطاب، وتضمن ترابطه وتماسكه. كما أنّ تنوع هذه الاستراتيجيات يعكس مرونة اللغة، وقدرتها على التكيف مع

المقامات المختلفة. ومن ثم فإن دراسة هذه الظاهرة لا تقتصر على الوصف اللغوي فحسب، بل تمتد إلى تحليل البعد الاجتماعي، والنفسي، والحجاجي للخطاب، ما يجعلها ميداناً خصباً للبحث اللساني المعاصر. وقد ربطت الدراسات التداولية مفهوم الاستراتيجية بالسياق والاستعمال؛ إذ لا تُفهم البنى اللغوية بمعزل عن المقام الذي تُنتج فيه.

التعريف الإجرائي لمفهوم لاستراتيجيات اللغوية:

يُقصدُ بالاستراتيجيات اللغوية في هذا البحث: مجموعة الإجراءات والأساليب اللغوية التي يعتمد عليها المتكلم لتحقيق انتقال موضوعي بين موضوعين مختلفين في نص واحد، وهو يحقق في الوقت نفسه هدفاً تواصلياً معيناً داخل الخطاب، سواء أكان الهدف الإقناع أم التوجيه أم التضامن أم تغيير مسار الحديث.

العدد: ٥٦
المجلد: ٢
السنة: ٢١
١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

الاستراتيجيات اللغوية للانتقالات الموضوعية في سورتي (الأنبياء) و(الشعراء)
مقاربة تداولية لبنية الخطاب القرآني

المبحث الأول: مقاصد سورتي (الأنبياء). و (الشعراء)

مفهوم مقاصد السور:

بعد تقصّي ما كتبه المفسرون في مجلداتهم الكبيرة والغنيّة، وإنعام النظر في الآيات الكريمة وإجالة الفكر فيها، يمكن أن نقسّم موضوعات كل من السورتين على محاور رئيسة ثم ينقسم كل محور على موضوعات فرعية بناءً على المراجعة العلمية، وما اهتديتُ إليه من معاني السورتين.

أولاً: سورة الأنبياء:

سماها السلف (سورة الأنبياء)، ولا يعرف لها اسم غير هذا، وهي مكية بالاتفاق، وقال القرطبي: "مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ وَهِيَ مائة واثنان عشرة آية" (القرطبي، ١٩٦٤، ص ١١٠، ٢٦٦). وقد ذكر فيها أسماء ستة عشر نبياً ومريم عليهم السلام جميعاً، وقال ابن عاشور: "وهي السُّورَةُ الْحَادِيَةُ وَالسَّبْعُونَ فِي تَرْتِيبِ التُّرُوسِ نَزَلَتْ بَعْدَ حَمِ السَّجْدَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّحْلِ، فَتَكُونُ مِنْ أَوَاخِرِ السُّورِ النَّازِلَةِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ." (ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٧٠/٦). أما من حيث ترتيب السورة في المصحف فهي السورة (٢١) الحادية والعشرون، وبهذا يتبيّن أن أغراض السورة، ونظمها متفق مع السور المكية، ويمكن تقسيم أغراض السورة على النحو الآتي:

مقاصد سورة الأنبياء:

تعالج هذه السورة موضوعات العقيدة الإسلامية الكبيرة (التوحيد والرسالة، والبعث والجزاء) وقد بيّنت السورة الكريمة أنّ وظيفة الأنبياء تؤدي عبر: التبشير والإنذار لبني آدم، وإقامة الأدلة على صدق دعواهم إلى الوحدانية، ونبذ الشرك، في حتمية البعث والجزاء، واستعراض أدلة متعددة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، بعرض النواميس الكونية الكبرى وربط العقيدة بها، فالعقيدة جزء من بناء هذا الكون، وهي تقوم على الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض، وعلى الجدّ الذي تُدبّر به السماوات والأرض؛ إذ إن هذا الكون لم يخلق لعباء، ولم يشب خلقه باطل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ ﴿١٦﴾، فالعقيدة وثيقة الارتباط بنواميس الكون الكبرى، ويمكن تقسيم موضوعات السورة الكريمة على أربعة محاور على النحو الآتي:

المحور الأول: الإنذار والتحذير (الآيات من ١ إلى ٣٥):

المحور الأول من هذه السورة المبارك هو إنذار بالبعث وتحذير من تكذيب الرسل؛ لحتمية الموت والرجوع إلى الله، قال تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ (الأنبياء: ١) يبدأ هذا المحور بمطلع قوي يصدم الغافلين ويهزهم منذراً الناس أجمعين باقتراب يوم الحساب والجزاء، وأنهم ملاقو أعمالهم، ومحاسبون عليها، وتمثل الآية الأولى في السورة مفتحاً تحذيراً شديداً الوقع على النفس البشرية ولا سيما الغافلين من اقتراب ساعة الحساب، ومنذرة لهم بأن يلتفتوا لهذا الحدث المزلزل، ويستمر هذا المحور حتى الآية الخامسة والثلاثين التي يمكن أن تكون ختاماً لهذه المحور التحذيري المنذر. إذ يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُكُمْ بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِئْتَنَةٍ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، ومثلما بدأ هذا المحور بالإنذار بيوم الحساب يغلق هذا المحور بحتمية الموت وحتمية الرجوع إلى الخالق للحساب. ويمكن تقسيم الموضوعات الفرعية في هذا المحور على النحو الآتي:

- الفقرة الأولى: غفلة المشركين وإنذارهم (الآيات: ١-٩).
- الفقرة الثانية: التحذير بمصارع الأولين (الآيات: ١٠-١٥).
- الفقرة الثالثة: حكمة الله وقدرته في خلق السماوات والأرض (الآيات: ١٦-٢٠).
- الفقرة الرابعة: أدلة وحدانية الله وقدرته في خلق السماوات والأرض (الآيات: ٢١-٣٣).
- الفقرة الخامسة: حتمية الموت والرجوع إلى الله تعالى (الآيات: ٣٤-٣٥).

المحور الثاني: وظيفة الأنبياء ومسيرتهم (الآيات من ٣٦ إلى ٩٥):

يختص هذا المحور من السورة الشريفة ببيان وظيفة الأنبياء ومسيرتهم مع أقوامهم واستهزاء أقوامهم بهم وبدعواتهم ونكرانهم لرسالتهم، ويبيّن هذا المحور قدرة الله تعالى على نصر أنبيائه ورسوله وحتمية غلبتهم وأن وظيفتهم الإنذار والتحذير قبل وقوع العذاب، ثم تأخذ الآيات الكريمة بسرد لقطات ومشاهد تستعرض عبرها مسيرة بعض من أنبياء الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم لدعوتهم لعبادة الله الحق ونبذ عبادة ما سواه والإنذار بين يدي يوم الحساب، ومن تنوع مواقف الأنبياء وحججهم على أقوامهم يتبين للمتلقي أن وظيفة الأنبياء واحدة وإن تنوعت وسائل التبليغ وتعددت الحجج على المعاندين، ويختتم هذا المحور بتقرير وحدة الدعوة الرسالية للأنبياء، وتشابه مواقف المعاندين من تلقيهم تلك الدعوة لعبادة الله تعالى، ولا شك أن هذا المحور هو الأطول في هذه السورة المباركة، فهو مقصدها العام وغرضها الرئيس، ويمكن تقسيم هذا المحور على الموضوعات الفرعية الآتية:

- الفقرة الأولى: مواقف المشركين مع الرسول واستهزائهم به (الآيات: ٣٦ - ٣٨).
- الفقرة الثانية: قدرة الله على نصرته رسوله، وإمهال الكافرين (الآيات: ٣٩ - ٤٤).
- الفقرة الثالثة: وظيفة الرسول الإنذار قبل الحساب (الآيات: ٤٥ - ٤٧).
- الفقرة الرابعة: موسى وهارون عليهما السلام (الآيات: ٤٨ - ٥٠).
- الفقرة الخامسة: إبراهيم مع قومه، وهبة الله له (الآيات: ٥١ - ٧٣).
- الفقرة السادسة: لوط مع قومه (الآيتين: ٧٤ - ٧٥).
- الفقرة السابعة: نوح عليه السلام (الآيتين: ٧٦ - ٧٧).
- الفقرة الثامنة: داود وسليمان عليهما السلام (الآيات: ٧٨ - ٨٢).
- الفقرة التاسعة: أيوب عليه السلام (الآيتين: ٨٣ - ٨٤).
- الفقرة العاشرة: إسماعيل وإدريس وذا الكفل (الآيتين: ٨٥ - ٨٦).

- الفقرة الثالثة: من مظاهر قدرة الله ونعمه على العباد (الآية: ١٠٥).

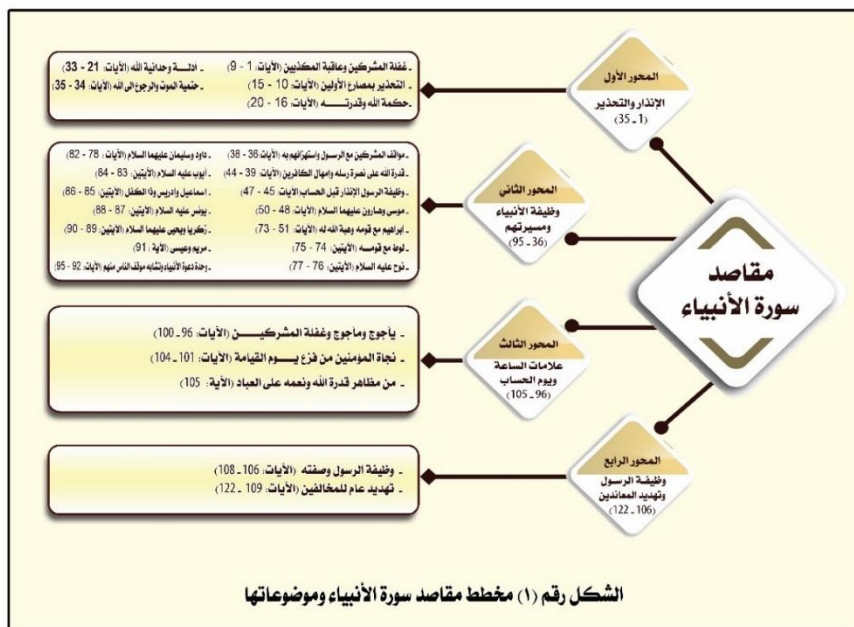
المحور الرابع: وظيفة الرسول وصفته وتهديد المعاندين (الآيات: ١٠٦-١١٢):

ختم السورة تذكير إلهي بأن وظيفة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هي الدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك، وأن يسلموا لعبادة الله تعالى وحده، وأن ما أنزل عليه من الذكر الحكيم إنما هو أداة لبلاغ الأمة وتبليغهم بهذه الدعوة، ثم تخدم السورة الكريم هذه الرحلة الإبلاغية بتكرار التحذير، ولفت انتباه المعاندين بأن وعد الله حق، وأن لا يفتنهم الشيطان ويصرفهم عن دعوة الحق، ويمكن تقسيم موضوعات هذا المحور على قسمين:

- الفقرة الأولى: وظيفة الرسول وصفته (الآيات: ١٠٦-١٠٨)

- الفقرة الثانية: تهديد عام للمخالفين (الآيات: ١٠٩-١١٢)

وهكذا تتجمع الإيقاعات المتنوعة في السورة على هدف واحد، هو استجاشة القلب البشري لإدراك الحق الأصيل في العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله)، فلا يتلقاها الناس غافلين معرضين لاهين، كما وصفهم في مطلع السورة المباركة، ويمكن اختصار هذا البيان لموضوعات سورة الأنبياء بالمخطط رقم (١)



العدد: ٥٦
المجلد: ٢
السنه: ٢١
٢٠٢٦ هـ / ٢٠٢٦ م

الاسم: أبحاث الدعوة للانتقالات الموضوعية في سورتي (الأنبياء) و(الشعراء)
مقاربة تداولية لبنية الخطاب القرآني

ثانيا: سورة الشعراء:

يقول ابن عاشور: "سميت سورة الشعراء؛ لأنها تفردت من بين سور القرآن الكريم بذكر كلمة (الشعراء)، وتسمى أيضا سورة (طسم)" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ص. ٨٩١١٩)، ويرى بعض المفسرين أنها من السور المكية النزول كلها، وقال بعضهم فيها بعض الآيات نزلت بالمدينة، ومن حيث ترتيب النزول فهي السورة السابعة والأربعون نزلت بعد سورة الواقعة، وقبل سورة النمل، أما من حيث ترتيب السور في المصحف فترتيبها (٢٦ السادسة والعشرون)، وعدد آياتها (٢٢٧) مئتان وسبع وعشرون آية (ابن عطية، ١٤٢٢هـ، والزمخشري، ١٤٠٧هـ، والقرطبي، ١٩٦٤م). وهي ثاني سورة من حيث عدد الآيات، وفصولها مترابطة منسجمة وأواخر آياتها متوازن، أسلوب مسترسل متوازن ولا تخلو من سجع متسق متوافق مع المعنى.

مقاصد سورة الشعراء:

مثل هذه السورة كمثال بقية السور المكية الكريمة، فهي تعالج بصورة عامة موضوعات العقيدة الإسلامية الكبرى وأصول الإيمان: (التوحيد، والرسالة النبوية، والبعث)، ولكل من هذه الموضوعات فروعها التي يتفرع إليها، وبهذا انمازت السور المكية عموما، وهذه السورة على وجه الخصوص بقصر آياتها واعتدال طولها قياسا بالسور المدنية، وانمازت بأسلوب الردع والزجر وقوة التبليغ وصولاً لقوة التأثير في المتلقي.

وبعد البحث المطول في التفاسير، وإطالة التفكير في أي السورة المباركة، تبين لي أن سورة الشعراء تواجه تكذيب مشركي قريش لنبي الله الأمين، ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله)، وإنكارهم أن يكون (القرآن) كتاباً منزلاً من الله تعالى على نبيه الكريم، واستهزائهم به وبالنذر، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم العذاب الذي يوعدون به، وكثرة ادعاءاتهم وتقولاتهم المضللة على معجزة النبي المرسل إليهم (صلى الله عليه وآله) (القرآن الكريم) بأنه سحر أو شعر أو مما تنزل به الشياطين، وهذه

الادعاءات التي ماثلت ما ادعاه المعاندون للرسول من قبلهم كان لا بُدَّ من ردها ودحضها والتصدي لها، فكانت السورة كلها شوطاً واحداً مقدماتها وقصصها وتعقيبها سارت في مضمار واحد منتظم، ويمكن لي تقسيم موضوعات سورة الشعراء على أربعة محاور رئيسة، وعلى النحو الآتي:

المحور الأول: تسلية الرسول وتثبيته: (الآيات من ١ لغاية ٩):

يمثل هذا المحور مقدمةً للسورة المباركة فأياتها التسع جاءت مسلية للنبي (صلى الله عليه وآله) ومخففة عنه أعباء تكذيب المعاندين من قومه وعشيرته، فقد بدأت هذه الآيات بتمجيد القرآن الكريم، وبيان هدفه في الهداية وتبشير المؤمنين الصالحين وإنذار الكافرين المكذبين، ثم بينت هذه الآيات أن الأنبياء السابقين قد واجههم قومهم بمثل ما لاقاك به قومك، فمشركو قريش لا يختلفون عنهم، وأنه (صلى الله عليه وآله) ليس بأول رسول كذبه قومه، وأن الله تعالى قادرٌ على أن ينزل بقومه ما يعدهم به من العذاب؛ لكنَّ حكمة الله، وسنته في عبادته أن يكون الإيمان في قلوبهم اختياراً لا اضطراراً. وفي هذا تقرع للكافرين، وتسلية للنبي (صلى الله عليه وآله) إزاء مواقف المعاندين، وتثبيت له عن إعراض قومه عن الإيمان برسالته، والاستدلال بخلق الله للمخلوقات على قدرته وتوحيده، وبهذا ينقسم المحور الأول على الموضوعات الفرعية الآتية:

الفقرة الأولى: الإشارة إلى القرآن الكريم معجزة النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

(الآيتين ١-٢).

الفقرة الثانية: تسلية الرسول والاشفاق عليه (الآية ٣).

الفقرة الثالثة: قدرة الله على إنزال الآيات، والتهديد بالعذاب الموعود (الآيات: ٤-٦).

الفقرة الرابعة: بيان قدرة الله تعالى وعظمته ورحمته (الآيات: ٧-٩).

المحور الثاني: رسالة الأنبياء وقصصهم (الآيات من ١٠ لغاية ١٩١):

ويمثل هذا المحور جسد السورة الرئيس، وفيه عرضت السورة لذكر سبعة من رسل الله تعالى إلى أقوامهم وبيان موقف أقوامهم من دعوة الأنبياء إلى التوحيد والإيمان بالله، وتشابه مواقف التكذيب والنكران والمكابرة من أولئك الأقوام، وتشابه المصير الذي لقيهم، وكانت كل فقرة من فقرات هذا المحور تنتهي بآية موحدة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ٧-٩)، فقد تكررت هاتان الآيتان ثماني مرات في هذه السورة وكان ذلك عقب التذكير برسالة كل نبي من الأنبياء بدءاً بنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) وانتهاءً بقصة نبي الله شعيب (عليه السلام)، وفي ذلك إشارة قويّة إلى أن مصير هذه الأمة ليس ببعيد من مصير تلك الأمم، فكل منهم قد كذب رسوله وكلّ منهم قد استحق العذاب، ويمكن أن نقسم هذا المحور على الموضوعات الفرعية الآتية:

- الفقرة الأولى: قصة نبي الله موسى (عليه السلام) (١٠-٦٨)، تتكون من فرعين:
 ١. موقف موسى مع فرعون (١٠-٥١).
 ٢. نجاة موسى والمؤمنين وهلاك فرعون وجنوده (٥٢-٦٨).
- الفقرة الثانية: قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع قومه (٦٩-١٠٤).
- الفقرة الثالثة: قصة نبي الله نوح (عليه السلام) مع قومه (١٠٥-١٢٢).
- الفقرة الرابعة: قصة نبي الله هوود (عليه السلام) مع قومه عاد (١٢٣-١٤٠).
- الفقرة الخامسة: قصة نبي الله صالح (عليه السلام) مع قومه ثمود (١٤١-١٥٩).
- الفقرة السادسة: قصة نبي الله لوط (عليه السلام) مع قومه (١٦٠-١٧٥).
- الفقرة السابعة: قصة نبي الله شعيب (عليه السلام) مع قومه أصحاب الأيكة (١٧٦-١٩١).

المحور الثالث: القرآن الكريم وموقف المشركين منه (١٩٢-٢١٢):

بعد عرض مستوفٍ لمواقف الأمم السابقة مع أنبيائهم وتشابه إعراضهم عن دعوة الحق، وتماثل مواقف المعاندين والكافرين من الأمم السابقة مع كفار قريش، كانت نهاية السورة بالتأكيد على أن القرآن العظيم وحْيٌ منزلٌ من الله تعالى، أنزلَ على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) تأييدا ومعجزة له تؤيد رسالته، وأنَّ وظيفته التبليغ والإنذار، وفي هذا تفخيم للكتاب العزيز وبيانٌ لمصدره، فهذا القرآن المعجز ليس من قول الشياطين ولا هو من وسوساتهم، ولا هو من قول البشر، حتى وإن كان بعض البشر يملك قدرة بارعة في نظم القول فيمكنه أن يأتي بالشعر البليغ لكن هذا القرآن بعيد عن ذلك كله، ويمكن أن نقسم هذا المحور على الموضوعات الفرعية الآتية:

- الفقرة الأولى: القرآن ووظيفته (١٩٢-١٩٥).
- الفقرة الثانية: الدفاع عن القرآن (١٩٦-١٩٩).
- الفقرة الثالثة: تهديد المكذابين وإنذارهم (٢٠٠-٢١٢).

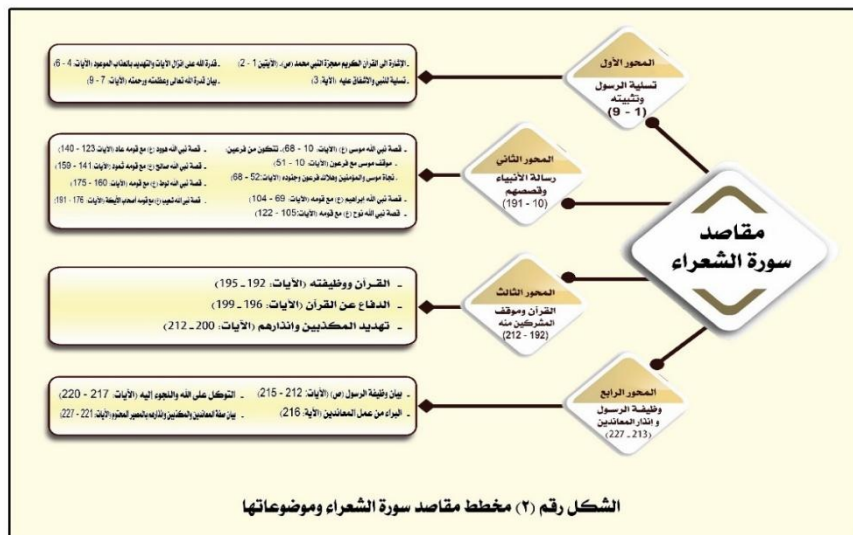
المحور الرابع: وظيفة الرسول وإنذار المعاندين (٢١٣-٢٢٧):

أما المحور الرابع فهو ختام السورة بالرد على افتراء المشركين وادعاءاتهم بنكران تنزيل الكتاب من الله تعالى على نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله)، وبهذا يتناسق بدء السورة مع ختامها تناسقا تاما منتظما، فالسورة الكريمة بدأت بذكر الكتاب العزيز وانتهت بتأكيد مصدره الإلهي، وكذلك أكدت السورة في ختامها أن وظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله) التبليغ والإنذار، وأن دعوته تتسم بالرحمة واللفظ، وليس من وظيفته حمل الناس على الإيمان بالقوة والإكراه، وهنا يأتي النهي الإلهي للنبي عن أن يدعو مع الله إلهاً آخر، وهذا النهي يقينا موجه إلى الناس جميعاً عبر النبي الأكرم وإلا فإن مكانة النبي (صلى الله عليه وآله) تمنعه عقلاً من أن يدعو مع الله إلهاً آخر، ثم يأتي الأمر الإلهي للنبي بإعلانه التبليغ من المعاندين والكافرين وإن كانوا عشيرته الأقربين بعد أن

دعاهم فكفروا، وأن يلجأ إلى الله العزيز الرحيم، وفي ذكر هاتين الصفتين الإلهيتين دلالة على القدرة الإلهية التي تقتضي إنزال العذاب على المعاندين من جهة والرحمة المطلقة التي تراعي الخلق أجمعين من جهة ثانية، وكذلك فيها دلالة واضحة أن الله تعالى سَدُّ نبيه ومؤيِّده وراعيه في أحواله كلها، وفي هذا الجزء تسلية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ولطف به وتخفيف عنه، فهو في رعاية الله قائماً وساجداً. ثم جعل الله ختام ذلك كله بالرد على ادعاءات الكافرين والمعاندين التي وصفوا بها القرآن الكريم بأنه من وحي الشياطين أو إنه من كلام البشر ومشابه لكلام الشعراء، ومحذراً إياهم من المصير الذي سيلقونه، ويمكن أن نقسم هذا المحور على الموضوعات الفرعية الآتية:

- الفقرة الأولى: بيان وظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله) (٢١٢-٢١٥).
- الفقرة الثانية: البراء من عمل المعاندين (٢١٦).
- الفقرة الثالثة: التوكل على الله واللجوء إليه (٢١٧-٢٢٠).
- الفقرة الرابعة: بيان صفة المعاندين والمكذِّبين وإنذارهم بالمصير المحتوم (٢٢١-٢٢٧).

ويمكن توضيح مقاصد سورة الشعراء من خلال المخطط رقم (٢)



ومما تقدم نرى أن الجو العام الذي يشيع في كل من السورتين (الأنبياء) و(الشعراء) هو جو الإنذار والتحذير من تكذيب النبي المرسل والتهديد بمصير محتوم مشابه للمصير الذي لقيهم الكفار والمعاندون للرسل السابقين من الأمم السالفة التي ذكرت بها آيات السورتين المباركتين، وهذا الجو هو السائد في أغلب السور المكية التي كانت محاورها الرئيسة: (التوحيد والرسالة والبعث)، وهنالك تشابه كبير في مقاصد السورتين وموضوعاتهما الرئيسة والفرعية، وهذا هو السبب الذي جعل البحث يختارهما عينة للدراسة، فتشابه المحاور الرئيسة وتشابه الموضوعات الفرعية يمكن البحث من التوصل إلى نتائج أكثر دقة واتساقا في إثبات فرضية البحث وتحقيق أهدافه.

العدد: ٥٦
المجلد: ٢
السنة: ٢١
٢٠٢٦ هـ / ٢٠٢٤ م

الأسرّات البحثية للتحولات الموضوعية في سورتي (الأنبياء) و(الشعراء)
مقاربة تداولية لبنية الخطاب القرآني

المبحث الثاني: الاستراتيجيات اللغوية للانتقالات الموضوعية بين المحاور الرئيسة

سنبيّن في هذا المبحث الاستراتيجيات اللغوية التي اتبعت في الانتقالات اللغوية بين المحاور الرئيسة للسورتين، وقد أحصى البحث خمس استراتيجيات لغوية استعملت في بداية المحاور الرئيسة للسورتين نذكرهما إجمالاً في الجدول رقم (١) ثم نفصل القول في كل استراتيجية.

ت	نوع الأسلوب	الاستراتيجية اللغوية	الآية	عدد الاستعمالات	مصادر الاستعمال	عنوان المحور
1	الجملة الإخبارية	جملة فعلية ذات الفعل الماضي مقترنة بجملة حالية	اقْرَبْ لِلْأَسْجَادِ جَسَدَهُمْ وَهُمْ فِي غَلَّةٍ مُعْرَضُونَ	1	الأنبياء المحور الأول الآية 1	الإنذار والتخدير
2		جملة شرطية باستعمال (إذا)	(وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَتَذَكَّرُونَ إِنْ كُنُوا)	2	الأنبياء المحور الثاني الآية 36	وظيفة الأنبياء ومسيرتهم
		الشرطية غير الجازمة	(حَتَّىٰ إِذَا جَعَلْتَ يَدَكَ بِالْجَبِّ وَتَأْتِيَهُمْ مِنْ كُلِّ مَدَنٍ يَسْأَلُونَ)		الأنبياء المحور الثالث الآية 96	علامات الساعة ومشاهد من يوم الحساب
3	الجملة الاسمية البسيطة أو المؤكدة		إِنِّي فِي هَذَا مُبَارَكٌ فِيمَ الْعَالَمِينَ	3	الأنبياء المحور الرابع الآية 106	وظيفة الرسل وأداء التبليغ ثم تهديد المعاندين
			طسم * عَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكُتُبَ الْغَيْبِ		الشعراء المحور الأول (الآيتين 1-2)	تسليمة الرسل وتبليغهم
			وَلَهُ تَرْجُومَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ		الشعراء المحور الثالث الآية 192	القرآن وموقف المشركين منه
4	الجملة الإنشائية	أسلوب الأمر	وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ	1	الشعراء المحور الثاني الآية 10	رسالة الأنبياء وقصصهم
5		أسلوب النهي	فَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُصْذَبِينَ	1	الشعراء المحور الرابع الآية 213	وظيفة الرسل وإنذار المعاندين
	مجموع الجمل الإخبارية	6	مجموع الجمل الإنشائية	2		

جدول رقم (1) الاستراتيجيات اللغوية المستعملة في الانتقالات الموضوعية للمحاور الرئيسة لموضوعات سورتي الأنبياء والشعراء

يتبين من الجدول (١) أن استراتيجيات الجملة الإخبارية التي استعملت في المحاور الرئيسة كانت (٦) من أصل (٨) أي إن نسبة استعمال الجمل الإخبارية للانتقال إلى موضوعات المحاور الرئيسة قياساً بالجمال الإنشائية بلغت (٧٥٪) في حين بلغت الانتقالات باستعمال جمل إنشائية (٢٥٪)، وكانت الانتقالات بين المحاور الرئيسة في سورة الأنبياء كلها باستعمال الجمل الإخبارية، أما في سورة الشعراء، فاستعملت الجمل الإخبارية بنسبة (٥٠٪) مقابل الإنشائية، وسنفصل القول في هذه الاستراتيجيات اللغوية على النحو الآتي:

أولاً: استراتيجيات الجمل الإخبارية:

الاستراتيجية الأولى: استعمال جملة فعلية ذات الفعل الماضي مقترنة بجملة حالية:

بدأت سورة الأنبياء محوراً الأول بقوله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ (الأنبياء: ١)، وبهذا تكون بداية المحور الأول بجملة فعلية فعلها ماضٍ (اقترب)، والاقتراب قد يكون مكانياً، وقد يكون زمانياً، ولما كان القرب المكاني هنا ممتنعاً، وغير معقول حُصر المعنى بالاقتراب الزماني، "وَالْمَعْنَى اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ وَقْتُ حِسَابِهِمْ". (الرازي، ١٤٢٠هـ، ص ١١٨/٢٢)، ويرى المفسرون أنَّ اللام في كلمة (لِلنَّاسِ) بمعنى (من) أي: اقترب من الناس حسابهم، و(الواو) في (وَهُمْ في غفلة) واو الحال، أي وقوع الاقتراب وتحقيقه وهم في حال غفلة عنه مُعْرِضُونَ عن التفكير فيه والتأهب له، (الثعلبي، ٢٠٠٢، ص ٢٦٨/٦، الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ١٠٠/٣). وبهذا تكون الجملة الفعلية التي بُدئ بها المحور ليست جملة فعلية بسيطة، بل جملة فعلية مقترنة بجملة حالية، وهذا الاقتران بينهما هو جزء مقصود في التركيب يدل على الحدث المراد الإخبار عنه، وهي صورة فيها صدمة وتنبيه شديد للمتلقى لما تبينه من تحقق اقتراب شيء خطير منه، وهو غافل عن ذلك، ومنشغل بما هو تافه، وغير نافع إذا ما قيس بعظيم الحدث الذي تحقق قربهِ ووقوعه وخطره. ولو اقتضت الصورة على الجملة الفعلية فحسب (اقترب للناس حسابهم) لما كان لها الأثر نفسه في صدم المتلقى، ولفت عنايته لحاله، ومقاربتة للخطر العظيم الذي سيلقيه حتماً أثناء وقت قصير.

إن استعمال استراتيجية البدء بجملة فعلية فعلها ماضٍ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقاصد الدلالية والتداولية للنص القرآني، فالغاية هنا إبراز وقوع الحدث (وهو اقتراب الحساب من الناس)، وتوجيه عناية المتلقى للنص نحو هذا الحدث، فزاوية النظر التي تضاء للمتلقى هنا هي (اقتراب الحساب) بعد أن كان يظن الناس أنه غير متحقق، أو غير واقع بهم، أو بعيداً عنهم. (السكاكي، ١٩٨٧، ص ١٦٨، السامرائي، ٢٠٠٠، ١١٩/١).

إن اختيار الفعل الماضي للبدء بهذا المحور مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدلالته الزمنية الأصلية التي تدلُّ دلالة قاطعة على الوقوع والتحقق والإنجاز، لأن الفعل الماضي موضوع أصلاً للدلالة على حدث وقع وانقضى، وتمَّ تحقيقه، وأنجز في زمن سابق للكلام (ابن يعيش، ٢٠٠١، ٣٠٢/٤، ابن هشام، ٢٠٠٥، ص ٣٦)، وبهذا يتضح جواب الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) على سؤال افتراضي قد يدور في ذهن المتلقي إذ يقول: "لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ كَيْفَ وَصِفَ بِالْإِفْتِرَابِ، وَقَدْ عَبَّرَ بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ قَرِيبٌ مِنْ سِتِّمِائَةِ عَامٍ وَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ مُقْتَرَبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، ...، وَثَانِيهَا: أَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ وَإِنْ طَالَتْ أَوْقَاتُ تَرْقِيهِ، وَإِنَّمَا الْبَعِيدُ هُوَ الَّذِي انْقَرَضَ، ...، وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْمُعَامَلَةَ إِذَا كَانَتْ مُوجَّهَةً إِلَى سَنَةٍ ثُمَّ انْقَضَى مِنْهَا شَهْرٌ، فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ اقْتَرَبَ الْأَجَلُ أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَاضِي أَكْثَرَ مِنَ الْبَاقِي فَإِنَّهُ يُقَالُ: اقْتَرَبَ الْأَجَلُ، فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ فِيهِ دَلَالََةً عَلَى قُرْبِ الْقِيَامَةِ، ...، وَأَنَّ الْبَاقِيَ مِنْ مُدَّةِ التَّكْلِيفِ أَقْلُ مِنَ الْمَاضِي." (الرازي، ١٤٢٠ هـ، ١١٨/٢٢).

إن صيغة الفعل الماضي التي استعملت في هذه الجملة الافتتاحية للمحور الأول في سورة الأنبياء هي صيغة (اقْتَرَبَ) ولم تستعمل صيغة (قَرَّبَ)، والفرق بين الفعل الماضي المجرد على وزن (فَعَلَ)، والفعل الماضي المزيد على صيغة (افْتَعَلَ) ليس فرقاً صرفياً فحسب، بل هو فرق دلالي أيضاً؛ لأنَّ الزيادة في المبنى عند علماء العربية تؤدي غالباً إلى زيادة في المعنى، (ابن جني ١٩٥٤، ١٥٢/٢)، فالفعل المجرد يدلُّ في الأصل على أصل الحدث من دون دلالات إضافية. أما صيغة (افْتَعَلَ) فتضيف إلى أصل المعنى دلالة متنوعة بحسب السياق، والفعل المشتق منه، ومن أشهر تلك الدلالات المضافة لهذه الصيغة: التعمُّد والتكلف وبذل الجهد والقصد في إيقاع الحدث (ابن هشام، ٢٠٠٥/٢٨٧، السامرائي، ٢٠٠٧، ص ١٠٣-١٠٤).

إن القرآن الكريم لا يستعمل المفردات والصيغ استعمالاً اعتباطياً، بل إن استعمال القرآن لكل كلمة، ولكل صيغة مقصود دلالي، وبهذا تكون هذه الزيادة الصرفية دلالة مضافة؛ لأنه "أَبْلَغُ مِنْ قَرَّبَ لِلزِّيَادَةِ الَّتِي فِي الْبِنَاءِ." (الأندلسي، ١٤٢٠ هـ، ٤٠٦/٧).

وأحسب أن الدلالة المضافة هنا من صيغة (افْتَعَلَ) التي جاء بها الفعل الماضي فضلاً عن (القصد والتعمد) في تحقق الحدث وهو (الاقتراب) هي: (شدة الملازمة للحدث وتأكيده) وعندها يكون التحذير صامداً لقلة الوقت المتبقي لتدارك ما فات؛ فقد أفادت صيغ (اقترَبَ) تلبس الناس بالاقتراب، وتأكيده، وأن المدة الزمنية المتبقية قبل ملاقاته الإنسان يوم الحساب قليلة جداً وقصيرة أكثر من المدة التي كان سيفهما المتلقي فيما لو قيل له (قُرِبَ للناس حسابهم)، وهذا ما ألمح إليه الأندلسي في تفسيره، فهو يرى أن هذه الصيغة أفادت المبالغة في الدنو، وشدة القرب، وأن هذا التعبير جاء مناسباً لمقام الإنذار والتحذير (الأندلسي، ١٤٢٠ هـ، ٤٠٦/٧)، وأشار أبو السعود العمادي إلى (اقترَبَ) تفيد غاية الدنو، حتى كأن الحساب صار ملاصقاً للناس، وهذا أبلغ من مجرد الإخبار بالقرب فيما لو استعمل الفعل (قُرِبَ) (أبو السعود، (د.ت)، ٥٣/٦).

مما تقدم يتبين أن القصد من استعمال الجملة الفعلية في ابتداء سورة الأنبياء يكشف لنا دالتين أساسيتين: دلالة الحدوث والتجدد التي اكتسبتها الصورة من كونها جملة فعلية، ودلالة التحقق والاكتمال التي استمدتها من الفعل الماضي ثم اضيفت إليها دلالة التلبس بالحدث وتأكيده المستمدة من صيغة (افتعل) التي جاء بها الفعل الماضي.

ولتكتمل صورة المشهد التحذيري في مفتتح هذا المحور ارتبطت بالجملة الفعلية جملة حالية، وهي جملة: (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)، إنَّ ترابط دلالة الجملة الفعلية (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) بدلالة الجملة الحالية ولَّد صورة دلالية متكاملة، فهؤلاء الناس الذين تلبسوا بالقرب من حالة الحساب هم في حال غفلة، وحال إعراض غير ملتفتين للمدة الزمنية المتبقية لهم لملاقاة أعمالهم والجزاء عليها، وهذه الصورة الصادمة التي بلغت ذروة التحذير والإنذار ما كان لها أن تكتمل بهذه القوة الدلالية لولا بيان حال (الناس) الذين قاربوا الحساب، وأوشك أن يقع بهم لكنهم غير ملتفتين لهذا الحدث الحتمي الذي تلبسوا به.

إن وصف حال (الناس) في الآية الكريمة باستعمال (الجملة الحالية الاسمية) وعدم استعمال الحال المفرد له مزيدٌ من الأثر في الدلالة، فالحال المفرد يكشف صفة واحدة لصاحب الحال، أما استعمال الجملة الحالية، فتكشف لنا صورةً متكاملةً أوسعَ أفقاً وأشدَّ إضاءةً، لبيان أصحاب الحال، وإن العدول عن استعمال الحال المفرد إلى استعمال الحال الجملة، إنما يكون عندما لا يفي المفرد بأداء المعاني المرادة جميعها، فيلجأ المتكلم إلى بيان الحال باستعمال الجملة الحالية؛ لأنها أوسع قدرة على التصوير والتفصيل (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ١٤٣-١٤٥)، ثم إن استعمال الجملة الاسمية لبيان حال صاحبها يزيد في قوّة الصورة التي تكشفها فهي تكشف للمتلقى عن ثبوت الصفة التي ذكرتها لصاحب الحال واستقرارها وملازمتها لصاحبها زمن وقوع الحدث (القزويني، ٢٠٠٣، ص ٨٥-٦١، السامرائي، ٢٠٠٣، ص ٨٥-٨٦)، وبهذا يتبين أن استعمال الجملة الحالية المرتبطة بالجملة الفعلية في افتتاح سورة الأنبياء كان لعلّة دلالية بالغة الأهميّة؛ فالجملة الاسمية هنا (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) وصفت الناس: "بِأَمْزِنِ الْعَفْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ". أَمَّا الْعَفْلَةُ فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ غَافِلُونَ عَنْ حِسَابِهِمْ سَاهُونَ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي عَاقِبَتِهِمْ مَعَ اقْتِضَاءِ عُقُولِهِمْ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ جَزَاءِ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ ثُمَّ إِذَا انْتَبَهُوا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَرَفَقَةِ الْجَهَالَةِ مِمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ أَعْرَضُوا وَسَدُّوا أَسْمَاعَهُمْ" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ١١٨/٢٢). وهذا التصوير الذي بينته الجملة الحالية يكشف عن صفات مستقرة وثابتة وراسخة في هؤلاء (الناس) فهم في حال غفلة مستقرة في نفوسهم وثابتة في تصرفاتهم وراسخة في ضمائرهم فهم غير مباليين ولا ملتفتين إلى مصيرهم المحتوم الذي دنا منهم دنواً شديداً، وبيان حالهم بهذه الصورة التي هم عليها أشدُّ وقعاً في النفوس وأقوى تأثيراً على المتلقى.

وتعد الجملة الفعلية في هذه الآية الكريمة مثلاً واضحاً لاجتماع الفعل الكلامي الإخباري - التقريري، مع قوّة إنجازية غير مباشرة، هي الإنذار والتنبية والحث على الاستعداد؛ لأن لفظ (اقترّب) ينتمي إلى فئة (الأفعال التقريرية - الإخبارية Assertives)

والتي يلتزم المتكلم بموجبها بمضمون القضية التي يقررها، ويكون غرض الفعل الكلامي حمل المخاطب على إدراك حقيقة معينة (Searle, 1976, pp.10-16)، ثم إن المقام والقرائن النصية قد نقلت هذا الخبر إلى قوة إنجائية أوسع، فالآية تقدم هذه المعلومة في مقام الإنذار والتنبيه إلى خطورة الموقف، لتصل بالمتلقي إلى المستوى الثالث، وهو التوجيه غير المباشر: (بادروا إلى التوبة والإيمان قبل وقوع الخطر)، وهذا هو الأثر المتوقع تداولياً (إيقاظ المخاطب من الغفلة وحمله على مراجعة موقفه والاستعداد للحساب، وهكذا تحولت البنية الخبرية سياقياً إلى استراتيجية خطابية غايتها إيقاظ المخاطب وإزالة غفلته، وبهذا لا يكون معنى (اقترب) مساوياً لمعنى الإنذار بل تحول إلى قوة تداولية ناتجة من اجتماع الصيغة الفعلية والسياق والحال والغاية الخطابية. وهكذا كانت الاستراتيجية اللغوية التي افتتح بها المحور الأول في سورة الأنبياء محققة لأهداف السورة كاملة ومفتحة ملائمة تماماً لمقاصد السورة المباركة وبداية مراعية لمتطلبات الموقف الخطابي والغاية منه، وقد استعملت هذه الاستراتيجية مرة واحدة في بداية المحور الأول في سورة الأنبياء.

الاستراتيجية الثانية: جملة شرطية باستعمال (إذا) الشرطية غير الجازمة:

استعملت هذه الاستراتيجية مرتين في بداية محورين من المحاور الرئيسة لسورة الأنبياء:

- المرة الأولى في بداية المحور الثاني في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَاْفُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٦).
- والثانية في بداية المحور الثالث في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٦-٩٧).

إننا أمام جملتين شرطيتين استعملت فيهما أداة الشرط غير الجازمة (إذا)، ولكن بنية الجواب في كلتا الجملتين مختلف وكذلك الوظيفة السياقية لكلا الجملتين مختلفة، ولما كان الأسلوب المستعمل في هذه الاستراتيجية هو أسلوب الشرط علينا أن نشير إلى أمر بالغ الأهمية، وهو أن أمَّ الباب في أدوات الشرط هي: (إن)، فلماذا تمَّ العدول عن استعمال (إن) الشرطية إلى (إذا)؟ و(إذا) في الأصل ظرف لما يستقبل من الزمان، وتفيد معنى الشرط. لقد أشار النحاة والبلاغيون والمفسرون إلى سبب عدول المتكلم في الاستعمال عن حرف الشرط (إن) إلى استعمال غيرها من الأدوات يعود لأسباب دلالية؛ إذ إنَّ أدوات الشرط ليست مترادفة تماما، بل تحمل فروقا دلالية تؤثر في فهم النص وتوجيهه دلاليًا، وإلا لكان استعمال أدوات متعددة وكثيرة لإنشاء أسلوب الشرط يُعدُّ عبثا لغويا، لولا وجود تلك الفروق الدلالية بينها.

الفرق الكبير بين استعمال حرف الشرط (إن)، واستعمال (إذا) الظرفية التي تفيد الشرط يتعلق بدرجة تحقق الشرط ووقوعه؛ قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): " (إن) لما يجوز أن يكون ولما لا يكون." (الزمخشري، ١٩٨٧، ١/٥٣٤)، وقال ابن هشام (ت ٧٦١هـ): "وأكثر ما تستعمل (إن) فيما يُشكُّ في وقوعه" (ابن هشام، ١٩٨٥، ٤/٢٢٥). أي أنَّ مفهوم الشرط العام (تعلق وقوع جملة الجواب بتحقيق جملة الشرط) يمكن التعبير عنه باستعمال (إن) الشرطية، فهي تستعمل: "في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها، والموهومة والنادرة. والمستحيلة وسائر الافتراضات الأخرى، فهي لتعليق أمر بغيره عموماً." (السامرائي، ٢٠٠٠، ٤/٦٩)، ولهذا نجد استعمال (إن) كثيرا في مقام الافتراض والاحتمال نحو قول القائل (إن تجتهد تنجح) فالنجاح معلق على شرط لم يتحقق بعد ولا يُعلم وقوعه أو عدم وقوعه.

أما دلالة (إذا) الشرطية فإنها تستعمل فيما يغلب وقوعه أو يُتَيَقَّنُ حصوله مستقبلاً، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): "وأما (إذا) فليما تستيقن أنه كائنٌ" (سيبويه، ١٩٨٨، ٣/٦٣). وكذلك قال ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): " (إذا) تكون فيما يُستيقن وقوعه أو يغلب على الظن

وقوعه" (ابن يعيش، ٢٠٠١، ١١٩/٨). ويتبنى هذا الرأي أيضا الدكتور السامرائي؛ إذ يقول: " (إذا) تستعمل لما هو متوقع الوقوع أو متحقق الوقوع، أما (إن) فتستعمل لما يحتمل الوقوع وعدمه" (السامرائي، ٢٠٠٣، ص ٨٧). وهكذا يتبين أنَّ المتكلم يعدل عن استعمال (إن) إلى (إذا) في إنشاء أسلوب الشرط عندما يريد الإيحاء بأن الحدث متوقع الوقوع أو متحقق الوقوع في المستقبل، وعلى هذا جاء الاستعمال القرآني، فقد قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ١)، ولم يقل: (إن جاء)؛ لأنَّ مجيء النصر أمر متحقق الوقوع بوعده من الله غير مخلوف.

وبناءً على ما تقدم فإن دلالة جملة الشرط في الآية الأولى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ الْأَيُّهُنَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء: ٣٦)، أنها متحققة الحدوث، وذكر المفسرون أنَّها نزلت في أبي جهل عندما هزئ بالنبي (صلى الله عليه وآله) (الرازي، ١٤٢٠، ١٤٣/٢٢). وقيل في تفسير جملة جواب الشرط (إن يتخذونك إلا هزواً): "أي ما يتخذونك إلا مهزواً به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم إياه هزواً" (أبو السعود، د.ت، ٦٦/٦). وبهذا يتبين أن جملة الشرط كانت متحققة فعلاً، وإن استعمال أداة الشرط (إذا) كانت متوافقة تماماً مع الحدوث، ومتسقة مع سنن العرب في كلامها.

وفي الآية الثانية فإن دلالة جملة الشرط: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦). أيضاً متحققة ومفروغ منها فاستعمال (إذا) أضفى على جملة الشرط دلالة واضحة أنَّ (فتح سد يأجوج ومأجوج) حتمي الوقوع ومتحقق يقينا في المستقبل، (القرطبي، ١٩٦٤، ٣٤١/١١)، أما جملة (وهو من كل حدب ينسلون) فهي جملة اسمية حالية، وظيفتها تقديم الصورة المصاحبة للحظة الفتح، فخرجهم الكثيف السريع من كل مرتفع واقع بعد فتح السد (الطبري، ٢٠٠٠، ١١٩/١٨).

أما دخول أداة الشرط (إذا) على جملة فعلية فعلها ماضٍ في الآيتين (وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ الْأَيُّهُنَ كَفَرُوا) (إذا) فهذا أيضاً له تأثير في دلالة الجملة، ولقد تنبه النحاة أن (إذا) أكثر ما ترد في

القرآن الكريم واللسان العربي متبوعة بفعل ماضٍ، والفعل الماضي هنا ستتغير دلالاته الزمنية بسبب دخول أداة الشرط (إذا) عليه فهي ظرف لما يستقبل من الزمان، فصيرت دلالة الجملة كلها مستقبلاً، ولكن ورود الفعل بصيغة الماضي يفيد هنا المبالغة في التحقق وتأكيد الفعل كأنه قد وقع وانتهى، قال الجرجاني: "قد يعبر بالماضي عن المستقبل إذا أريد تحقيقه وتثبيته في النفس" (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٢٧٤)، وقال الزركشي: "الإتيان بالماضي بعد (إذا) لإفادة تحقق الوقوع حتى كأنه وقع" (الزركشي، ١٩٥٧، ٣/٣١٨)، وقال المفسرون: "التعبير بالماضي لتحقيق الوقوع وتزليل المستقبل منزلة الواقع." (أبو السعود، ١٩٩٤، ٩/٢٦٩). وبهذا يتبين أن الدلالة الزمنية لجملة الشرط في الآيتين هي دلالة مستقبلية متحققة وبقينية، وبهذا سيتحقق هزء الكافرين بالنبي (صلى الله عليه وآله) عندما يروونه، ولما كان الشرط يفيد تحقق الجواب عند تحقق جملة الشرط، فهذا يعني التكرار، ولا يدل على أنه يقع مرة واحدة فحسب، أي إن الكافرين قد يقع منهم هذا الهزء بالنبي كلما رأوه، وقد يكون المراد بالكافرين هنا بعضاً منهم أو نفرأً خاصاً منهم.

وكذلك سيتحقق فتح سد يأجوج ومأجوج، وهذا الحدث وإن كان زمنه المستقبل إلا أن العرب تلقوه على أنه حدث حاصل الوقوع ومقطوع بحصوله لسببين: الأول: استعمال أداة الشرط (إذا) والثاني: دخولها على فعل ماضٍ، وعند وقوع الحدث (فتح سد يأجوج ومأجوج وخروجهم من كل حذب) عندها يحصل جواب الشرط.

أما جواب الشرط فقد ورد في الآية الأولى بصيغة جملة فعلية فعلها مضارع (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) وبهذا أنشأت أداة الشرط (إذا) علاقة دلالية دقيقة بين جملة الشرط (ذات الفعل الماضي) وجملة الجواب (ذات الفعل المضارع) تجمع بين تحقق الشرط وحتمية وقوعه واستمرار أثر الجواب؛ إذ إن الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار، قال ابن هشام: "المضارع موضوع لما يتجدد شيئاً بعد شيء" (ابن هشام، ١٩٨٥، ١/٥٠)، قال السامرائي: "الماضي في الشرط قد يفيد تحقق

وقوعه، والمضارع في الجواب يفيد استمرار الأثر أو تجدده" (السامرائي، ٢٠٠٠، ص ١٤٣). وبهذا تتكامل الدلالة في جملة الشرط في هذه الآية على النحو الآتي:

- (إذا + فعل ماضي) شرط متوقع أو متحقق الوقوع وبهذا تكون رؤية الكافرين للنبي واقعة حتما ومتحققة وربما هو فرد محدد منهم.
- (جواب الشرط جملة فعلية ذات فعل مضارع) دلالتها تجدد الحدث واستمراره واستحضاره.

أما جواب الشرط في الآية الثانية (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج...) فمختلف فيه فقد ذهب الفراء والكسائي أن جملة الجواب (اقترب الوعد الحق)، وذهب آخرون إلى أن الجواب محذوف، وقال آخرون أن الجواب (فإذا هي شاخت) (القرطبي، ١٩٦٤، ٣٤١/١)، وهذا الحذف ليس أمرا شكليا، بل له أهمية تداولية كبيرة.

إن الدلالة التداولية التي أدتها جملة الشرط في الآية الأولى تتجاوز الإخبار إلى تثبيت نمط سلوكي في ذهن المتلقي، إذ يحدد القرآن الكريم الاستجابة الواقعة من الكافرين عند رؤية النبي (صلى الله عليه وآله)، وبهذا ينقل الخطاب من وصف فعل إلى تقويم سلوك جماعة المخاطبين، وبهذا أدت جملة الشرط استراتيجية خطابية لتعريف الموقف الحوارى للخصم، فهو لا يدخل في حوار معرفي مع النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا يناقش حجته، وإنما يحول اللقاء إلى سخرية واستهزاء. ليكشف اختلال الموقف القيمي والمعرفي للمخاطبين. أما في الآية الثانية فإن حذف الجواب يجعلنا أما استراتيجية التشويق والإنذار التدريجي، وهذه الاستراتيجية تشرك المتلقي في استنتاج خطورة الحدث من تتابع المشاهد التي ذكرت في جملة فعل الشرط وجملة الحال المصاحبة لها، وتضعيد أثره الإنذاري.

وأجد أن هذه الاستراتيجية اللغوية في بناء جملة الشرط (إذا) لم تكن اختياراً نحوياً محضاً، بل هي بناء لغوي تداولي يراعي متطلبات الموقف الخطابي، وكانت مناسبة تماماً للغرض الذي استعملت به في بداية هذا المحورين اللذين استعملنا فيهما.

الاستراتيجية الثالثة: الجملة الاسمية الإخبارية البسيطة أو المؤكدة:

استعملت استراتيجية البدء بالجملة الاسمية ثلاث مرات في مفتتح المحاور الرئيسة في السورتين وفي مرتين منهما وردت الجملة الاسمية مؤكدة بأدوات تأكيد (حرف مشبه بالفعل (إن)) و(لام التوكيد (المزحلقة))، وذلك على النحو الآتي:

- المحور الرابع من سورة الأنبياء، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦).
- المحور الأول من سورة الشعراء، في قوله تعالى: ﴿طُسَم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الشعراء: ١-٢).
- المحور الثالث من سورة الشعراء، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢).

تعدُّ الجملة الاسمية من التركيبات اللغوية ذات الأهمية الكبيرة لدى المتكلمين؛ لأن المتكلم باللغة العربية يستثمرها في توجيه المعنى، ويوظفها لإبراز مقاصده التداولية والبلاغية، وقد اتفق النحاة والبلاغيون والمفسرون - مع اختلاف منطلقاتهم - على أن اختيار المتكلم البدء بالجملة الاسمية في كلامه ليس اختياراً شكلياً عشوائياً أو اعتباطياً، بل هو اختيار دلالي مقصود يرتبط بطبيعة المعنى المراد تقريره ونقله إلى ذهن المخاطب.

لقد عُدَّت الجملة الاسمية أنسب مقاماً في المواقف التي يراد منها تقرير المعاني وتمكينها في ذهن المخاطب، أي إن المتكلم حين يختار الاسم بدلاً من الفعل فإنه بقصد إثبات المعنى للشيء على وجه الرسوخ لا على وجه الحدوث المتجدد. (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ١٧٤-١٨٠)، وذهب السكاكي (ت ٦٢٦هـ) إلى أن الجملة الاسمية موضوعة لما يفيد استقرار النسبة بين المسند والمسند إليه، أما الجملة الفعلية، فتشعر بتجدد الحدث ووقوعه. (السكاكي، ١٩٨٧، ١/١٧١). وبهذا يتبين أن المتكلم عندما يختار افتتاح كلامه بجملة اسمية فذلك يرتبط مباشرة بعدة مقاصد تداولية وبلاغية أهمها:

تقرير المعنى وإظهاره)، أو (إظهار الرسوخ والثبات في الصفة) أو (جعل المخاطب يتوجه إلى الذات أولاً) (حسان، ٢٠٠٦، ص ٢١٥).

إن استراتيجية البدء بالجملة الاسمية الإخبارية البسيطة أو الجملة الاسمية الإخبارية المؤكدة تمثل نظاماً خطابياً تدرجياً لا عشوائياً ولا اعتباطياً، فكل زيادة في مكونات الجملة يقابلها زيادة في دلالة الكلام، ومراعاة لحال المتكلم ومتطلبات الموقف الكلامي، فيمكن أن يستعمل المتكلم الجملة الاسمية البسيطة لتقرير النسبة بين المسند والمسند إليه وتثبيتها وترسيخها والإخبار عنها، ويمكن أن يضيف عنصراً توكيداً واحداً إلى الجملة الاسمية لمواجهة الشك أو احتمال عدم اليقين عند المخاطب، ويختار من العناصر المؤكدة ما يراه متفقاً مع الغرض الدلالي لكلامه، ثم قد يزيد عنصراً توكيداً آخر، أو أكثر؛ ليواجه الإنكار في ذهن المخاطب والرفض المسبق لقبول مضمون الجملة، فإذا اجتمعت (إنّ) مع (اللام المزلحقة) في جملة واحدة نشأ عن ذلك بناءً تأكيدياً مركباً يحقق أعلى درجات التقرير والترسيخ وإثبات النسبة بين ركني الجملة الاسمية ويخبر عن مضمون هذا المعنى المركب؛ ولذلك يكثر هذا النمط من الجمل في الخطابات العقدية والحجاجية والجدلية التي تسعى إلى تغيير قناعة المخاطب أو تثبيت معتقده. (محمد، ٢٠٢٣) (ص ٤٤٣-٤٧٨).

وإذا نظرنا إلى الآيات الثلاثة التي استعملت فيها استراتيجية البدء بالجملة الاسمية الإخبارية نجد أن هذه المقاصد الدلالية قد تحققت فيها، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦). نجد الجملة الاسمية (بلاغ في هذا) قد تعرضت إلى تحول مقصود في البنية التركيبية عبر التقديم والتأخير فقد قدمت شبه الجملة (في هذا) على المبتدأ (بلاغ)؛ فالتقديم يجعل موضع الإفادة والعناية هو المتعلق بالبلاغ ومصدره أو محله، ثم إن المبتدأ في الجملة قد جاء نكرة (بلاغ) وهي تدل على العموم، وهنا تحقق تقدم الخبر وجوباً، ثم أدخلت على الجملة أدوات توكيد (إنّ) و(اللام

المزحلقة) وبهذا تكون الجملة قد صيغت بشكل يبعد الشك الذي قد يعتري ذهن المخاطب.

وقد قيل في تفسير (هذا) في الآية الكريمة قولان: "قالت فرقة الإشارة بقوله في هذا إلى هذه الآيات المتقدمة، وقالت فرقة الإشارة إلى القرآن بجملة" (ابن عطية، ١٤٢٢، ١٠٣/٤) وعلى أي المعنيين حمل فإن الجملة لم تُبنَّ اعتباطاً، بل كانت في غاية الحكمة والمطابقة لمراعاة حال المتلقي، فهي تؤكد أن (القرآن) أو (ما ذكر في الآيات المتقدمة) قد ذكر لتبليغ المخاطبين وإزالة الإنكار من صدورهم وإعلامهم بأن هذا الكلام ليس من نظم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بل هو كلام الله تعالى، وإن وظيفته (الإبلاغ) إبلاغ تعاليم السماء والدعوة إلى عبادة الله تعالى، وترسيخ المبدأ وتثبيتته ودفع حجج المتلقي المعاند والكافر.

أما الآية الثانية: التي جاءت فيها الجملة الاسمية مؤكدة بمؤكدتين أيضاً هي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢). وهي مفتتح المحور الثالث من سورة الشعراء، وموضوعه (القرآن وموقف المشركين منه) نلاحظ فيها أنها بُنيت بصيغة الجملة الاسمية الإخبارية المؤكدة بأداتي توكيد: (إنَّ) و(اللام المزحلقة)، فأول ما يصل سمع المتلقي في هذه الجملة القرآنية هو أداة التوكيد التي وضعت لإزالة الشك الذي قد يعتري بعض المخاطبين بأن القرآن الكريم لم يكن تنزيلاً من الله تعالى بل قد يكون من تأليف النبي (صلى الله عليه وآله) أو يملأ عليه، فجاءت هذه الآية الكريم مصاغة على نمط الجملة الاسمية المؤكدة بمؤكدتين اثنتين لترسخ في ذهن المتلقي أنَّ القرآن الكريم هو تنزيل من الله وقد وافقت البناء التركيبي لهذه الآية الكريمة مراعاة حال المتلقي المنكر والمشكك في مضمون الخبر.

من الناحية التداولية فإنَّ اجتماع (إنَّ) ولام التوكيد (اللام المزحلقة) في الآيتين، أفاد:

● مضاعفة القوة الإنجازية للخبر؛ إذ يصبح الخبر أبعد عن الشك وأقرب إلى اليقين.

- مقاومة الإنكار، كلما كان المخاطب أشد إنكاراً ازدادت المؤكدات.
 - ترسيخ المعنى في الذاكرة؛ إذ يستقبل المخاطب التوكيد مرتين: في مفتتح الكلام ب(إنّ) وعند بلوغ الخبر مقترنا باللام.
- وبهذا أدّت اللام المزلحقة وظيفة "إعادة تنشيط التوكيد" داخل الجملة بعد أن بدأته ب(إنّ) (إدريس، وتوفيق، ٢٠٢٤؛ خليل، ٢٠٢٢).

وعلى المستوى التداولي، فيمكن القول إن الفعل الكلامي الأساسي في الآية (إنّ) في هذا لبلاغاً لقوم عابدين) بأنه فعل إخباري تقرير (Assertive Speech Act)؛ لأن المتكلم الإلهي يقرر حقيقة موضوعية (إن فيما سبق من الوحي والقصص والوعد والوعيد بلاغاً وكفاية وهداية لقوم مخصوصين)، ولا يكفي هذا الفعل الإخباري بوظيفة الإخبار المجرد، بل يتحول إلى فعل إخباري ذي قوّة إقناعية وحجاجية؛ لأن اجتماع أدوات التوكيد (إنّ) و(اللام) شكلاً آليّة لتقوية القوّة الإنجازية للفعل الإخباري وتحويل الخبر إلى خطاب حجاجي موجّه نحو الاقتناع والاستجابة. أما الفعل الكلامي في الآية الثانية: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢). فلم تكن القضية المركزية فيه هو إثبات وجود القرآن فحسب، بل إثبات مصدره الإلهي، فالآية جاءت بعد المحور الثاني الذي ذكرت فيه (رسالة الأنبياء وقصصهم) مع أقوامهم، لينتقل منها للدخول في محور آخر مخصص لوصف (القرآن وموقف المشركين منه)؛ ولهذا جاءت الآية لتؤسس مرجعية القرآن ومصدر سلطته الخطابية، وقد لاحظ ابن عاشور أن هذه الجملة متصلة بغرض السورة في بيان القرآن وأن التنويه بالقرآن يتضمن تسليّة للنبي أمام إعراض قومه عنه وهذا ما تناوله المحور الأول من السورة المباركة (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢١٦/١٩)، وبهذا يكون الفعل الكلامي هنا هو أيضاً فعلاً كلامياً إخبارياً تقريرياً، وهو يحمل قوّة حجاجية واضحة لأن القضية التي يريد تثبيتها (القرآن ← تنزيل ← رب العالمين)؛ لذا كان التوكيد المزدوج يؤدي وظيفة إزالة الشك والإنكار في ضمير المخاطب عن مصدر

القرآن ، وبهذا يؤسس القرآن شرعية القول القرآني، ومصدر إلزامه، ويثبت بذلك بعداً حجاجياً عقدياً.

ولم يؤد التشابه التركيبي بين هاتين الآيتين إلى تطابق الوظيفة بينهما، فالخطاب القرآني يوظف البنية الاسمية المؤكدة بوصفها بنية قابلة للتكييف بحسب المقام ففي الآية الأولى يؤكد فاعلية البلاغ بالنسبة إلى المتلقي العابد، وفي الثانية، يؤكد مصدرية التنزيل بالنسبة إلى القرآن الكريم، في مواجهة ما يتضمنه المقام من إنكار أو تشكيك، ومن ثم يؤدي وظيفة حجاجية واعتقادية تتمثل في إبطال دعوى البشرية عن القرآن وتأسيس سلطته الإلهية. وهذا يؤكد أن القيمة التداولية للبنية النحوية لا تعتمد على البنية الشكلية فحسب، بل من تفاعلها مع السياق والمخاطب والمقصد الخطابي.

أما الآية الثالثة التي بنيت على نمط الجملة الاسمية، فكانت في بداية المحور الأول من سورة الشعراء وهي قوله تعالى: ﴿طَسْم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الشعراء: ١- ٢). قال المفسرون في بيان معناها: "الْكِتَابِ الْمُبِينِ الظاهر إعجازه، وصحة أنه من عند الله، والمراد به السورة أو القرآن. والمعنى: آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين." (الزمخشري، ١٩٨٧، ٣/٢٩٨)، وقيل: "مَعْنَاهُ: آيَاتُ هَذِهِ السُّورَةِ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٢٤/٤٩٠). يمكن أن تعرب على أنها: "﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ مبتدأ وخبره، واختلف في الإشارة، ف قيل: إلى ﴿طسم﴾، والمراد بها حروف التهجي جميعها، أي: تلك الحروف حروف آيات الكتاب، لا تخرج عنها، و ﴿الْكِتَابِ﴾: القرآن. وقيل: إلى ما في الكتب المتقدمة في ذكر القرآن،...، وقيل: ﴿تِلْكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه تلك، و ﴿آيَاتُ﴾: بدل من هذه" (صالح، ١٤١٨، ١١٦/٨).

ونلاحظ أن الآية هنا جاءت على نمط الجملة الاسمية البسيطة، وهي جملة إخبارية تجعل محور الخطاب (إثبات هوية الآيات ووصفها) ، فهي تخبر عن ثبوت النسبة بين المسند والمسند إليه وتحققها، وبذلك تجعل بؤرة الخطاب (ماهية المشار إليه

وصفته)، وعلى المستوى التداولي فقد أدت (تلك) وظيفة (إشارية إحالية) فهي تستدعي من ذهن المخاطب شيئاً مشتركاً بين طرفي الخطاب، ثم يأتي الخبر ليحدد هوية المشار إليه (تلك ← آيات الكتاب المبين)، وبذلك نكون أمام إحالة إشارية (Deictic Reference) لا يكتمل معناها بالمعنى المعجمي لاسم الإشارة المجرد، وإنما يتحدد مرجعها عبر المقام وسياق التلاوة، فضلاً عن ذلك فإن اختيار (تلك) - من منظور تداولي - لا تحمل دلالة على معنى البعد المكاني، بل يشير إلى بعد في الرتبة يستند إلى المقام ويحمل معنى التعظيم ورفع منزلة المشار إليه، فالخطاب يقدمه بمقام إشاري يستحضر الرفعة وعلو الشأن، أي أن القضية المركزية ليست تعريف القرآن فحسب، بل بيان عظمتة وإقامة الحجّة به على المخاطبين.

وبهذا يتبين أن (الجملة الاسمية البسيطة) في هذه الآية قد أدّت فعلاً كلامياً خبرياً تقريرياً، يقدم عبرها المتكلم قضية في صورة إخبارية تقريرية لكنها تؤدي وظيفة مضافة هي التثبيت والحجاج، فالجملة تقرر للمخاطب أن الآيات التي يتلوها النبي (صلى الله عليه وآله) ليست كلاماً مجهول المصدر أو مادة شعرية أو خطاباً بشرياً، وإنما هي (آيات الكتاب المبين) ومن هنا تتجسد القيمة التداولية لهذه الجملة الاسمية في تحويل القضية من مجرد إخبار عن شيء ما إلى حقيقة تقريرية مستقرة في وعي المخاطب، وتركز على هوية النص ومرجعياته وصفته، وهذا التحول في الوظيفة يتلاءم مع المقام الحجاجي الذي يراد فيه تثبيت حقيقة القرآن وبيان منزلته، وبهذا المقدار يكون بناء الجملة في هذه الآية الكريمة على هذا النمط متفق تماماً مع الغرض التي سيقّت من أجله، ومحققة لغاياتها البيانية والإبلاغية بدقة متناهية.

ثانيا: استراتيجيات الجمل الإنشائية:

الاستراتيجية الإنشائية الأولى: أسلوب الأمر:

استعملت استراتيجية البدء بجملة إنشائية مصاغة باستعمال فعل الأمر في سورة الشعراء في بداية المحور الثاني المعني بذكر (رسالة الأنبياء وقصصهم)، والذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠). إن من أبرز صور الإنشاء الطلبي في العربية استعمال الجملة الفعلية المبنية من خلال فعل الأمر؛ لأنها لا تهدف إلى نقل خبر عن الواقع، بل هي تنشئ فعلاً تواصلياً يقصد به توجيه المخاطب نحو إنجاز سلوك معين، وبهذا يكون اختيار المتكلم لهذه البنية اللغوية في كلامه قراراً تداولياً مرتبطاً بمقصده الإنجازي أكثر من كونه اختياراً صرفياً، أو اختياراً نحوياً، أو اختياراً جمالياً.

وقد نصّ البلاغيون على أن الأصل في صيغة الأمر هو (طلب حصول الفعل من المخاطب على جهة الاستعلاء)، غير أن هذا الأصل قد لا يستغرق استعمال فعل الأمر كلها؛ إذ قد تنقل القرائن (صيغة الأمر) إلى معانٍ أخرى كالإرشاد، والندب، والدعاء، والالتماس، والإباحة، والتهديد، وغيرها من المعاني، ويؤكد السكاكي (ت ٦٢٦هـ) أن تلك المعاني لا تستفاد من (صيغة الأمر) وحدها، بل تعاضدها في هذا التحول الدلالي قرائن متعددة مكونة قاعدة كلامية معتمدة وهي (مطابقة الأسلوب لمقتضى الحال) (السكاكي، ١٩٨٧، ٣٠٩-٣٠٥/٢)، وهذا ما أكده القزويني (ت ٧٣٩هـ) عندما جعل المقام هو الحاكم في تعيين الدلالة البلاغية للأمر (القزويني، ٢٠٠٣، ص ١٨٣-١٩٠).

ويتفق هذا الفهم لاستعمال فعل الأمر في الكلام مع ما قرره عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في نظرية النظم؛ إذ يرى أن قيمة الأسلوب لا تكمن في المفردات أو الصيغ منفردة، بل في كيفية انتظامها داخل السياق؛ ولذلك فإن استعمال فعل الأمر لا يفهم على أنه علامة لغوية ثابتة الدلالة، فقد يكون المقصود الإلزام، وقد يكون الحث أو الترغيب أو التنبيه بحسب المقام (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٥٤-٥٩).

وفي اللسانيات التداولية الحديثة عُدَّ (جون سورل John Searle) الأمر من الأفعال الكلامية التوجيهية (Directive Speech Acts)؛ وذلك لأن غايته حمل المخاطب على القيام بفعل مستقبلي (Searle, 1969, pp.98-101)، بينما عُدَّه (أوستن J.L. Austin) فعلاً إنجازياً يحدث أثراً في الواقع بمجرد التلفظ به، فهو لا يصف العالم فحسب، بل يسعى إلى تغييره ((Austin, 1962, pp.66-67)، وهذا يفسر كثرة جمل الأمر في الخطابات التي يكون مقصدها التأثير في السلوك، كالتهليل والإدارة والقانون والخطاب الديني والإرشادي الذين يسعون إلى إعادة بناء سلوك الأفراد عبر التوجيهات والأوامر.

وبهذا يتبين أن المتكلم يلجأ إلى بناء كلامه بصيغة الأمر عندما يريد تقليص المسافة بين النية والفعل، ففي الوقت الذي تنقل فيه الجملة الخبرية معرفة ما، فإن الجملة الإنشائية الأمرية تسعى لإنتاج استجابة عملية، وهذا سبب زيادتها في الكلام ذي الوظيفة التوجيهية أو الحجاجية، الذي ينتقل فيه المتكلم من مرحلة الإقناع النظري إلى مرحلة توجيه السلوك.

وإذا تدبرنا الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠). التي كانت بداية للمحور الثاني، الذي حددنا موضوعه ببيان رسالة الأنبياء وقصصهم، نجد أن المفسرين قد أجمعوا على إعراب (إِذْ) في محل نصب، فقد قالوا: " (إِذْ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، الْمَعْنَى: وَائْتِ عَلَيْهِمْ "إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى" ويدل على هذا بَعْدُهُ، "وَائْتِ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ" ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ. وقيل: المعنى، واذكر إذا نَادَى، مثلما صَرَّحَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: " وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ " وَقَوْلِهِ: " وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ " وَقَوْلِهِ: " وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ". (القرطبي، ١٩٦٤، ٩١/١٣)، وسواء أقدروا فعل الأمر المحذوف ب(اتل) أو (اذكر) فلن يغير هذا من قالب بناء الجملة الإنشائية وهو (جملة أمر مبنية بفعل الأمر الموجه إلى المفرد المخاطب ثم الفاعل الضمير المستتر وجوبا ثم المفعول به) والمراد من جملة الأمر هنا أمراً حقيقياً، ولم يخرج إلى معنى مجازي آخر، فالنبي الأكرم (صلى

الله عليه وآله) مأمور بأن يذكر لقومه أو يتلو عليهم نبأ موسى وما ذكر من تفاصيل قصته لقومه، وفي ذلك تثبيت لموقف النبي وتذكير له بما لقيه المرسلون المتقدمون عليه من إنكار أقوامهم، فذكر ذلك فيه طمأنينة للنبي وطمأنينة للمؤمنين الذين آمنوا بدعوته.

ومما يلفت الانتباه في هذا المقام أن التعبير القرآني قد اعتمد استراتيجية (الحذف) في بناء هذه الجملة الانشائية، فقد حذف من الجملة الفعلية ركنيها (الفعل والفاعل)، وأبقى الفصلة (المفعول به) في بداية الجملة الإنشائية، وقد يستعمل المتكلم إلى مثل هذه الطريقة في نظم الكلام عندما يكون المقام التخاطبي واضحاً جداً وأن المتلقي يعلم أن منشئ النص في مقام التوجيه أو التحريض في مواقف خطابية مثل (الموعظة والخطابة والوصية وغيرها)، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): "هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره" (سيبويه، ١٩٨٨، ٢٨٣/١-٢٨٥). وقد يلجأ المتكلم إلى هذا الحذف عندما تكون قرينة المقام كافية للدلالة على الطلب، وإرادة السرعة والايجاز (ابن هشام، ١٩٨٥، ٣٩/٢-٤٢)، أو عند العناية بالمفعول به أو المطلوب، (ابن يعيش، ٢٠٠١، ١٠٣/٢-١٠٦)، وقد تحقق ذلك في الآية الكريمة فحذف فعل الأمر والفاعل والبدء بالمفعول به جعل المفعول به وما يتعلق به (قصة نداء الله تعالى لنبيه موسى وما أمره به من أوامر) هي بؤرة الخطاب التوجيهي التي أنارتها الجملة الإنشائية أمام المتلقي وسلطت عليها الضوء الشديد من غير إشغال لذهن المتلقي بما يمكن حذفه، وبذلك حققت هذه الاستراتيجية اللغوية تكامل مع الاستراتيجية الخطابية (التوجيهية) في نص معجز. بلغ أعلى درجة من الإنجاز التداولي، ومحولاً اللغة من أداة لوصف الواقع إلى أداة مؤثرة فيه.

الاستراتيجية الإنشائية الثانية: أسلوب النهي:

استعملت استراتيجية النهي باستعمال جملة إنشائية مصاغة بـ(لا) الناهية الداخلة على الفعل المضارع في سورة الشعراء في بداية المحور الرابع المتضمن (وظيفة الرسول وإنذار المعاندين)، والذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٣).

يمثل أسلوب النهي من وجهة النظر التداولية واحداً من أهم الأساليب الإنشائية الطلبية في اللغة العربية، وهو يقابل أسلوب الأمر من حيث الوظيفة العامة (التوجيه) ويخالفه من حيث اتجاه الفعل المطلوب، فالأمر يطلب إيجاد الفعل أما النهي فيطلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه، وبهذا يكون اختيار المتكلم لجملة النهي - عند إنشائه لكلامه - قراراً تداولياً يكشف مقصده الإنجازي، وتقديره لحال المخاطب، واستعمالاً وظيفياً للغة مراعيّاً فيه مقام الخطاب ومتطلباته، وليس مجرد اختيار نحويٍّ أو اختيار اعتباطيٍّ. ولقد عرّف البلاغيون النهي بأنه طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، وأصل بناء النهي أن يكون باستعمال (لا + الفعل المضارع المجزوم) وهذه الصيغة هي الأصل في بناء جملة النهي (سيبيويه، ١٩٨٨، ٨/٣؛ السكاكي، ١٩٨٧، ٣١١/٢-٣١٦)، ويعد النهي في اللسانيات التداولية من الأفعال الكلامية التوجيهية (Directive Speech Acts)؛ وذلك لأن غايته المتكلم التأثير في سلوك المتلقي المستقبلي بمنع وقوع فعل ما (Searle, 1969, pp.98-101)، إن قيمة النهي لا تقاس بصدق العبارة، بل بمدى نجاحها في تحقيق الامتناع عن الفعل (Austin, 1962, pp.66-69)، وبهذا يحقق لنا النهي حماية المخاطب من ضرر متوقع، أو منع وقوع سلوك غير مرغوب فيه، أو ضبط التفاعل داخل الخطاب، والمحافظة على النظام الاجتماعي أو الأخلاقي، ويمثل النهي استراتيجية لغوية طلبية وقائية بينما يمثل (الأمر) استراتيجية لغوية طلبية إنشائية، وكلا الاستراتيجيتين اللغويتين تنتميان إلى الأفعال الكلامية التوجيهية.

وقد لَقَّت استعمالُ استراتيجية (النهي) في الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٣)، انتباه المفسرين والباحثين إلى أمر بالغ الأهمية، وهو (من المخاطب بهذا النهي؟)، هل شخص النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، أو غيره، فإذا كان المخاطب بالنهي هو النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فقد يوحي ذلك بوقوع الفعل منه قبل النهي أو توقع وقوع الفعل منه في المستقبل لذا جاء النهي، وهذا مناف تماماً لمكانة النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لذا قال بعضُ المفسرين في تفسير هذه الآية: "قل لمن كفر هذا، وقيل: هو مخاطبة له صلى الله عليه وسلم وإن كان لا يفعل هذا؛ لأنه معصوم مختار؛ ولكنه خوطب بهذا ليعلم الله جلَّ وعزَّ حكمه في من عَبَدَ غيره كائناً من كان" (النحاس، ١٤٢١، ١٣٣/٣)، وقيل في تفسيرها: "قد علم أنَّ ذلك لا يكون، ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى. وفيه لطف لسائر المكلفين، كما قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾" (الزمخشري، ١٩٨٧، ٣٣٩/٣). وقد أشار الرازي (ت ٦٠٦ هـ) إلى أنه الخطاب هنا جارٍ على سنن العرب في كلامهم، فهو يقول في تفسير الآية الكريمة: "وَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ خِطَابٌ لِغَيْرِهِ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْحَكِيمِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤَكِّدَ خِطَابَ الْغَيْرِ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الرُّؤَسَاءِ فِي الظَّاهِرِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ هُمْ الْأَتْبَاعُ، وَلِأَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُثَبِّعَهُ مَا يَلِيقُ بِذَلِكَ، فَلِهَذَا الْعِلَّةِ أَفْرَدَهُ بِالْمَخاطَبَةِ." (الرازي، ١٤٢٠، ٥٣٥/٢٤). ومما تقديم يتبين أن النهي وإن كان موجهاً للنبي الأكرم (ص) إلا أنه خطاب لغير النبي من عامة الناس ولا سيما الكافرين والمعاندين؛ ولأن هؤلاء المعنيين مباشرة بهذا النهي ليسوا أهلاً لتوجيه كلام الله تعالى إليهم لكفرهم وجحودهم، كان الخطاب موجهاً للنبي الأكرم المكلف بإيصال الرسالة السماوية للبشر جميعاً، ودعوتهم إلى تنفيذ أوامر الله تعالى والامتناع عن نواهيه.

إن استعمال استراتيجية النهي على نحو الحقيقية في بداية المحور الرابع من سورة الشعراء، والمخصص لبيان (وظيفة الرسول وإنذار المعاندين) قد جعل من جملة النهي وسيلة لإدارة العلاقات الاجتماعية ورسمت حدود العلاقة بين أطراف الخطاب (المنشئ

والمتلقي ومضمون الخطاب) في إطار استراتيجية خطابية توجيهية تحذيرية، وقد راعت هذه الاستراتيجية اللغوية (النهي) توافرت فيها شروط نجاح هذا النوع من الخطاب التداولي القائم على سلطة المتكلم (المنشئ)، ومعرفة المخاطب ومكانته، وملاءمة المقام، وبهذا يتحقق أعلى قدر للقوة الإنجازية للنهي.

العدد: ٥٦
المجلد: ٢
السنة: ٢١
١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

الأساتذة المحققين: اللغوية للانتقالات الموضوعية في سورتي (الأنبياء) و(الشعراء)
مقاربة تداولية لبنية الخطاب القرآني

المبحث الثالث: استراتيجيات الانتقالات بين الموضوعات الفرعية للمحاور الرئيسية:

بعد أن عرضنا في المبحث المتقدم الاستراتيجيات اللغوية التي اتبعت في الانتقالات الموضوعية بين المحاور الرئيسية، سنعرض في هذا المبحث الاستراتيجيات اللغوية التي استعملت في الانتقالات الموضوعية بين الفقرات الفرعية داخل المحاور الرئيسية، وقد تم تقسيمها على استراتيجيات الجمل الخبرية واستراتيجيات الجمل الإنشائية، وسنعرضها بصورة مجملة في جدول الاستراتيجيات اللغوية رقم (٢)، ثم نتحدث عنها تفصيلاً.

ت	نوع الأسلوب	الاستراتيجية اللغوية	الآية	عدد الاستعمالات	مصادر الاستعمال	عنوان الفقرة
1	الجملة الاسمية المعنوية		إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ مِّمَّنْ أُوحِدَ وَأَآءَ وَكَرَّمْ وَأَعْدَدُوا	4	الأنبياء المحور الثاني الفقرة الرابعة عشرة 92	وحدة دعوة الأنبياء وتشابه موقف الناس منهم
			إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى أُولَئِكَ عَنَّا مُتَعِدُونَ		الأنبياء المحور الثالث الفقرة الثانية 101	نجاح المؤمنين من قرع يوم القيامة
			عَلَّامٌ بِأَعْيُنِنَا هَٰذَا مَا يَكُونُ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ		الشعراء المحور الأول الفقرة الثانية 3	تشبيه للنبي وإشفاق عليه من أن يتحسر على كفر قومه
			وَلَهُ فِي يَوْمٍ ذُو الْقُرَىٰ		الشعراء المحور الثالث الفقرة الثانية 196	الدفاع عن القرآن
2	جملة الفعل الماضي الجملة الإخبارية		عَلَّامٌ لِّمَا فِي بَيْتِكَ مِمَّا أَلَّا يَعْلَمُونَ	10	الأنبياء المحور الأول الفقرة الثانية الآية 10	التحذير بمصارع الأولين
			يَوْمَئِذٍ أَنبَأَ مِوسَىٰ وَمَعَارُونَ الْقَوْمَ بَصِيًّا وَكَرَّ الْعَيْنَ		الأنبياء المحور الثاني الفقرة الرابعة 48	موسى وهارون
			يَوْمَئِذٍ أَنبَأَ إِبْرَاهِيمَ رُسُلَهُ مِن قَبْلِ وَكَلَّاهُ بِهِ عَالِينَ		الأنبياء المحور الثاني الفقرة الخامسة 51	إبراهيم مع قومه وهدية الله له
			يَوْمَئِذٍ كَلَّمَ فِي الْإِذِينَ مَن يَدْعُو أَنَّهُ الْإِذِينَ بَرَّاهُ عِبَادِي الصَّالِحِينَ		الأنبياء المحور الثالث الفقرة الثالثة 105	من مظاهر قدرة الله ونعمه على العباد
			كَانَتْ مَعَهُ رُوحُ الرُّسُلِ		الشعراء المحور الثاني الفقرة الثالثة 105	قصة نبي الله نوح مع قومه
			كَانَتْ عَالَمُ الرُّسُلِ		الشعراء المحور الثاني الفقرة الرابعة 123	قصة نبي الله هود مع قومه عاد
			كَانَتْ شُؤْمُ الرُّسُلِ		الشعراء المحور الثاني الفقرة الخامسة 141	قصة نبي الله صالح (ع) مع قومه ثمود
			كَانَتْ لُؤْلُؤُ الرُّسُلِ		الشعراء المحور الثاني الفقرة السادسة 160	قصة نبي الله لوط (ع) مع قومه
			كَانَتْ أَصْحَابُ الْيَكْرِ الرُّسُلِ		الشعراء المحور الثاني الفقرة السابعة 176	قصة نبي الله شعيب (ع) مع قومه أصحاب الأيكة
			كَانَ سَلَكُهُ فِي قُورِ الْمَرْبُورِ		الشعراء المحور الثالث الفقرة الثالثة 200	تهديد المكذابين وإقذارهم
3	جملة الفعل الماضي المنفي (بما)		وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فَعِثِينَ	2	الأنبياء المحور الأول الفقرة الثالثة الآية 16	حكمة الله وإفرته في خلق السموات والأرض
			وَمَا جَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلِ الْفَعْلِ أَفْأَلًا مِّنْهُمْ الْخَالِدِينَ		الأنبياء المحور الأول الفقرة الخامسة 34	حكمة الموت والرجوع إلى الله تعالى
4	جملة الشرط		وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَانُوا بِآيَاتِنَا عَلِيمِينَ	4	الأنبياء المحور الثاني الفقرة الثانية 39	قدرة الله على نصرته رسوله وإسهال الكافرين
			وَلَوْ تَوَلَّوْا لَعَلَّكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِلَىٰ أَعْيُنِنَا جَهَنَّمَ مِمَّا تَفْعَلُونَ		الأنبياء المحور الرابع الفقرة الثانية 109	تهديد عام للمخالفين
			إِنَّمَا نَبَأُ لِّكُمُ الْغَيْبُ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّهُ ظَلَمْتَ أَهْلَانَهُمْ لَهَا خَاصِمِينَ		الشعراء المحور الأول الفقرة الثالثة 3	قدرة الله على إبطال الآيات والتهديد بالعذاب الموعد
			إِنَّمَا عَصَاكَ حُلٌّ لِّمَنِ يَرِىءُ مَا يَخْلُقُونَ		الشعراء المحور الرابع الفقرة الثانية 216	البراءة من عمل المعتدين

5	أسلوب الاستفهام	م اتخذوا لله من الأرض ضم يشيرون	3	الأنبياء المحور الأول الفقرة الرابعة الآية 21	قوله وحده الله والله في خلق السموات والأرض
		ولم يروا إلى الأرض كما أنبت فيها من كل دمج كريم		الشعراء المحور الأول الفقرة الرابعة 7	بيان قدرة الله تعالى وعظمته ورحمته
		قل أنبتكم على من خلق الشياطين		الشعراء المحور الرابع الفقرة الرابعة 221	بيان صفة المعتدين والمكذبين وإقذارهم بالمسير المحكوم
6	أسلوب الأمر	قل إنما أدعوك بالحق وما يسع الضم الدعاء إذا ما يلقون	11	الأنبياء المحور الثاني الفقرة الثالثة 25	ولفظة الرسول الإنذار قبل الحساب
		يوحنا أنبت حنكاً ومطاً ومطاً من القرية التي كانت تحمل الحنات لهم كانوا فيهم ستم		الأنبياء المحور الثاني الفقرة السادسة 74	نوع مع قوله
		يوحنا إذ ندى من قبل فاستجاب له فنجده وأخذ من الكوب العظيم		الأنبياء المحور الثاني الفقرة السابعة 76	نوع عليه السلام
		وأورد وسليمان إذ يتكلم في الحراء إذ تفتت فيه غمهم وكما يحكمهم شامير		الأنبياء المحور الثاني الفقرة الثامنة 78	داود وسليمان
		وأوب إذ ندى ربه في سبي الصر وأت لرحم الزجين		الأنبياء المحور الثاني الفقرة التاسعة 83	يوسف
		ياشاعيل وكافراً وقد الكيل كل من الصابرين		الأنبياء المحور الثاني الفقرة العاشرة 85	إسماعيل وإبراهيم وذو النفل
		يا الذين إذ دعب ناصحتاً ظن أن أن قدور عليه فتأدى في الظلمات أي إله إلا أنت		الأنبياء المحور الثاني الفقرة الحادية عشرة 7	يونس
		يوكذا إذ ندى ربه إله تبارك وتعالى وقد خسر الزايرين		الأنبياء المحور الثاني الفقرة الثانية عشرة 89	زكريا ويحيى
		ياي أخصدت فرجها فتخلفا فيها من روحنا وحتفناها وإلهنا آية للعالمين		الأنبياء المحور الثاني الفقرة الثالثة عشرة 91	مريم وعيسى
		واي عليهم تأ إبراهيم		الشعراء المحور الثاني الفقرة الثانية 69	قصة نبي الله إبراهيم
		وتوكلي على العزيز الرحيم		الشعراء المحور الرابع الفقرة الثالثة 217	التوكيل على الله والنجوى إليه
مجموع الجمل الإخبارية		20	مجموع الجمل الإنشائية		14

جدول رقم (2) الاستراتيجيات اللغوية المستعملة في الانتقالات الموضوعية لل فقرات الفرعية لموضوعات سورتي الأنبياء والشعراء					
--	--	--	--	--	--

جدول رقم (2) الاستراتيجيات اللغوية المستعملة في الانتقالات الموضوعية لل فقرات الفرعية لموضوعات سورتي الأنبياء والشعراء

من تحليل الجدول رقم (٢) يتبين لنا أن استراتيجيات الجملة الإخبارية قد استعملت (٢٠) عشرين مرة من أصل مجموع الانتقالات الفرعية البالغة (٣٤) أربع وثلاثين مرة، وبهذا تكون النسبة المئوية لاستعمال استراتيجيات الجملة الإخبارية (٥٩٪) أي قرابة ثلثي الاستعمالات، أما استراتيجيات الجمل الإنشائية فبلغ مقدار نسبتها المئوية (٤١٪)، أما أكثر استراتيجية استعملت ضمن استراتيجيات الجملة الخبرية فهي استراتيجية جملة الفعل الماضي التي بلغت نسبتها المئوية قياساً إلى مجموع الجمل الخبرية (٥٠٪) وتأتي بعدها الجملة الخبرية المنسوخة والجملة الشرطية التي بلغت نسبة كل منهما (٢٠٪) ثم استراتيجية جملة الفعل الماضي المنفي التي بلغت (١٠٪) من مجموع الجمل الإخبارية.

أما في الجمل الإنشائية فكانت النسبة المئوية لأسلوب الأمر قياساً إلى مجموع الجمل الإنشائية (٧٩٪) في حين بلغت النسبة المئوية لاستعمال أسلوب الاستفهام (٢١٪).

أما إذا أردنا قياس النسبة المئوية لأكثر استراتيجية لغوية استعملت في انتقالات الموضوعات الفرعية كلها في سورتي الأنبياء والشعراء فستكون استراتيجية (جملة فعل

الأمر الإنشائية) التي بلغت النسبة المئوية لاستعمالها قياساً إلى مجموع الانتقالات الفرعية في سورتي الأنبياء والشعراء (٣٢٪) ثم تأتي بعدها (جملة الفعل المضارع الإخبارية) وقد بلغت نسبة استعمالها المئوية قياساً إلى مجموع الانتقالات الفرعية كلها في السورتين (٢٩٪).

وسنفصل القول في تحليل هذه الاستراتيجيات:

أولاً: استراتيجيات الجمل الإخبارية:

الاستراتيجية الأولى: استعمال الجملة الاسمية المنسوخة: استعملت هذه الاستراتيجية في أربعة مواضع على النحو الآتي:

❖ الجملة الاسمية المنسوخة لغرض التوكيد: استعملت ثلاث مرات

١. في سورة الأنبياء في المحور الثاني الفقرة الرابعة عشرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

٢. في سورة الأنبياء في المحور الثالث الفقرة الثانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١).

٣. في سورة الشعراء في المحور الثالث الفقرة الثانية في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٦).

❖ الجملة الاسمية المنسوخة لغرض الإشفاق: استعملت مرة واحدة:

في سورة الشعراء المحور الأول الفقرة الثانية؛ إذ يقول تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣).

وإذا نظرنا إلى الآيات الثلاثة التي استعملت فيها استراتيجية البدء بالجملة الاسمية الإخبارية المنسوخة لغرض التوكيد، مع الأخذ بالحسبان ما ذكرناه آنفاً من جوانب تنظيرية لاستعمال الجملة الاسمية في المبحث الثاني، نجد أن تلك المقاصد الدلالية قد

تحققت في استعمال هذه الاستراتيجية اللغوية للانتقال من موضوع فرعي إلى موضوع آخر ضمن محور واحد.

ففي الآيات الثلاثة دخلت (إنَّ) على الجملة الاسمية لتغير دلالة الجملة من نسبة المسند إلى المسند إليه فحسب إلى تأكيد حصول هذه النسبة، ومن الناحية التداولية تكون (إنَّ) أداة وظيفية تأكيدية، وهي تسهم في رفع درجة الالتزام الخطابي في الجملة المؤكدة عبرها.

في سورة الأنبياء، وضمن المحور الثاني (وظيفة الأنبياء ومسيرتهم) تم الانتقال من الفقرة الثالثة عشرة إلى الفقرة الرابعة عشرة باستعمال استراتيجية الجملة الاسمية المنسوخة بـ(إنَّ) لغرض التوكيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢). وقد كانت الانتقالات ضمن هذا المحور في الفقرات (الثالثة) لغاية (الثالثة عشرة) باستعمال استراتيجية واحدة (جملة فعل الأمر) كما سنذكرها بعد قليل، فلما وصل إلى ختام هذا المحور في الفقرة الرابعة عشرة وهي الفقرة الأخيرة في هذا المحور انتقل إليها باستعمال استراتيجية الجملة الاسمية المنسوخة لغرض التوكيد ليؤكد الخطاب القرآني (وحدة دعوة الأنبياء وتشابه موقف الناس منهم)، قال أبو حيان في تفسير هذه الآية: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ أُمَّتُكُمْ خِطَابٌ لِمُعَاصِرِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، أَيْ إِنَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ هِيَ مِلَّتُكُمْ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا لَا تَتَحَرَّفُونَ عَنْهَا مِلَّةً وَاحِدَةً غَيْرَ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ إِشَارَةً إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ طَرِيقَتُكُمْ وَمِلَّتُكُمْ طَرِيقَةً وَاحِدَةً لَا اخْتِلَافَ فِيهَا فِي أَصُولِ الْعَقَائِدِ، بَلْ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." (الأندلسي، ١٤٢٠، ٤٦٤/٧). ويقع الخطاب القرآني في هذه الآية ضمن الخطاب الحجاجي الإقناعي؛ لذا عدل الخطاب عن استعمال الجمل الإسمية البسيطة إلى استعمال الجملة الاسمية المنسوخة بأداة توكيد؛ لأن المقام

يُتوقع في مثله مقاومة في تلقي مضمون الخبر في الجملة من المخاطب، وهذا غاية التناسب بين طرقي الخطاب ومراعاة مقتضى الحال ومقام التلقي.

وكذلك استعملت هذه الاستراتيجية ضمن المحور الثالث من سورة الأنبياء (علامات الساعة ومشاهد من يوم الحساب) للانتقال من الفقرة الأولى التي تحدثت عن (يأجوج ومأجوج وغفلة المشركين) إلى الفقرة الثانية (نجاة المؤمنين من فزع يوم القيامة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١). فقد دخلت (إن) على الجملة الاسمية لتغير دلالتها من (الإخبار عن ثبوت نسبة المسند إلى المسند إليه) إلى (توكيد إثبات النسبة بين طرقي الجملة) دفعاً للشك الذي يعتري المتلقي، وتثبيتاً لمضمون الجملة، وبذلك يتم مضاعفة القوة الإنجازية للخبر عبر إبعاده عن الشك وتقريبه من اليقين (ابن يعيش، ٢٠٠١، ١٦/٢). وإذا أنعمنا النظر في ترتيب الآية نجدها قد جاءت بعد آيات الفقرة الأولى، التي كانت تتحدث عن (خروج يأجوج ومأجوج وغفلة المشركين، واقترب الوعد الحق وتهديدهم بالعقاب الذي ينتظرهم (الأنبياء: ٩٦-١٠٠)، انتقلت الخطاب إلى بيان ثواب المؤمنين، في هذه الفقرة، قال المفسرون: "إِنَّ عَادَةَ اللَّهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مَتَىٰ شَرَحَ عِقَابَ الْكَفَّارِ أَرَدَفَهُ بِشَرْحِ ثَوَابِ الْأَبْرَارِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ عَقِيبَ تِلْكَ فَهِيَ عَامَّةٌ فِي حَقِّ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ". (الرازي، ١٤٢٠، ١٨٩/٢٢). وقد يختلج في نفوس بعض المتلقين شكوك حول من تشملهم الآية؛ فجاءت الآية مؤكدة بأداة التوكيد (إن) ليناسب المقام مقتضى الحال.

واستعملت استراتيجية الجملة الاسمية المنسوخة بـ(إن) للتوكيد في المحور الثالث من سورة الشعراء (القرآن وموقف المشركين منه) في الانتقال من الفقرة الأولى في هذا المحور التي كانت تتحدث عن (الدفاع عن القرآن الآيات: ١٩٦-١٩٩) إلى الفقرة الثانية منه (الدفاع عن القرآن) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٦). ونلاحظ في هذه الجملة الاسمية استعمال (إن) للتوكيد في بداية الجملة ثم استعمال (اللام

المزحلقة) التوكيدية الداخلة على الخبر، وبذلك يتضح أن المقام به حاجة إلى تثبيت المعنى في نفس المخاطب وإزالة إنكاره بزيادة أدوات التوكيد في الجملة (القزويني، ٨٨/٢٠٠٣، التفاتازاني، ١٩٩٨، ١٧٤/١). وبهذا يتم مضاعفة القوة الإنجازية للخبر بإبعاده عن الشك وتقريبه من اليقين، وجعله مقاوماً للإنكار، فتكون نتيجة ذلك رسوخ المعنى في ذاكرة المتلقي الذي يستقبل التوكيد مرتين مرة في مفتتح الجملة ومرة عند بلوغ الخبر المقترن باللام المؤكدة.

أما استراتيجية الجملة الاسمية المنسوخة لغرض (الإشفاق) فقد رودت في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣)؛ فقد انتقل الخطاب ضمن المحور الأول من الفقرة الأولى (الإشارة إلى أن القرآن الكريم معجزة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الفقرة الثانية في هذا المحور وهي تسليية النبي والإشفاق عليه من أن يتحسر على كفر قومه، عبر استعمال الجملة الاسمية، فالخطاب موجه من الله تعالى إلى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله)، وطبيعة هذا الخطاب أنه محفوف بأعلى مقامات الثقة والاطمئنان بين طرفي الخطاب؛ وبهذا الجو المتعالي من التلقي اليقيني للخطاب لا يتطلب المقام أكثر من إثبات تحقق نسبة المسند إلى المسند إليه، وليست بالمقام حاجة إلى استعمال أي أداة توكيد، ولما كانت هذه النسبة ثابتة ومستقرة استعملت في التعبير عنها الجملة الاسمية البسيطة، من غير مؤكدات، فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه الكريم أن يشفق على نفسه من أن يهلكها حسرة على ما فاتته من امتناع إيمان قومه أو خيفة أن لا يؤمنوا، وقد قرر النحاة أن: "لعلّ وعسى: طمع وإشفاق" (سيبويه، ١٩٨٨، ٢٣٣/٤)، وقال المفسرون إن: "لعل للإشفاق" (الزمخشري، ١٩٨٧، ٢٩٨/٣؛ الرازي، ١٤٢٠، ٤٩٠/٢٤)، والطمع والإشفاق الذي تفيده (لعل) في النص يستفاد من السياق الذي ترد فيه، فهي تفيد الترجي، إذا كان المتوقع أمراً محبوباً نطمع في تحقيقه ونرجو وقوعه؛ لأنه أمر محبوب مرغوب فيه كقول القائل (لعل المريض يشفى)، وقد تفيد معنى الإشفاق؛ إذا كان المتوقع مكروهاً أو غير مرغوب فيه كقولهم (لعل العدو قادماً)،

وهي في سياق هذه الآية الكريمة تدل على الإشفاق، فقد قال ابن عطية: "وقوله لَعَلَّكَ الآية تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم لما كان من القلق والحرص على إيمانهم فكان من شغل البال في حيز الخوف على نفسه، و «الباحع» القاتل والمهلك بالهم،...، ومعنى الآية أي لا تهتم يا محمد بهم وبلغ رسالتك وما عليك من إيمانهم فإن ذلك بيد الله." (ابن عطية، ١٤٢٢، ٢٢٤/٤) وقال أبو السعود في تفسيره "ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك" (أبو السعود، د.ت، ٢٣٣/٦).

إن استعمال (لعل) وهي حرف مشبه بالفعل من زمرة (إنّ) الناسخة للجملة الاسمية البسيطة يمثل انتقالة في المعنى من مستوى دلالي إلى مستوى آخر، فقد انتقل المستوى الدلالي للجملة من إثبات النسبة بين طرفي الجملة المسند والمُسند إليه فيما لو قال القائل (أنت مهلك نفسك) فهنا إثبات للنسبة وإخبار عنها، في حين تغيرت دلالة الجملة من خلال استعمال (لعل) ونسخ هذه الدلالة الأولى (الإثبات والإخبار) وتغييرها إلى دلالة جديدة وهي (التوقع والإشفاق) وهنا مضمون النسبة بين طرفي الجملة لم يقع بعد بل يتوقع أن يقع فيما إذا بقي مسار الأحداث على ما هو عليه، والغاية من هذا النسخ في دلالة الجملة تغيير مسار الأحداث نحو وجهة جديدة، فدلالة الجملة في الآية الكريمة تساعد على إدارة الالتزام المعرفي داخل الحوار فهي لا تقرر الحقيقية (النسبة بين المسند والمُسند إليه) بل تعرضها للمخاطب في صورة احتمال قابل للمراجعة وتغير الموقف وتعديله، فالتخاطب هنا تخاطب وجداني بين طرفي الخطاب (الله جل جلاله، وحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله) قائمة على الإشفاق والتودد والطلب غير المباشر للتخفيف على المتلقي، وبهذا كانت (لعل) في هذه الجملة الاسمية أداة فاعلة أفادت تعديل القوة الإخبارية للقضية وإظهار (المُسند) لا بوصفه حقيقة وقعت وهي ثابتة بالنسبة (للمُسند إليه)، بل بوصفه أمراً متوقعاً محتملاً ويشفق على المخاطب من تحققه.

الاستراتيجية الثانية: استعمال الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي: استعملت هذه الاستراتيجية في الانتقالات الفرعية بين فقرات المحاور الرئيسة في السورتين كليهما عشر مرات، وبحسب ما مثبت تفصيلها في الجدول رقم (٢). وكانت هذه الجمل الفعلية على نمطين محددين، سنشير إليهما على النحو الآتي:

١- **النمط الأول:** هو (لقد + فعل ماض متصل بـ(نا) ضمير في محل رفع فاعل + مكملات أو فضلات) وقد تكرر هذا النمط أربع مرات:

- في المحور الأول من سورة الأنبياء (الإنذار والتحذير، الآيات: ١-٢٥) كان الانتقال من الفقرة الأولى (إنذار المشركين وتحذيرهم من غفلتهم وتكذيبهم الأنبياء، الآيات: ١-٩) إلى الفقرة الثانية التي تتحدث عن (التحذير بمصارع الأولين، الآيات: ١٠-١٥) بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠).

- وفي المحور الثاني من سورة الأنبياء (وظيفة الأنبياء ومسيرتهم، الآيات: ٣٦-٩٥) كان الانتقال من الفقرة الثالثة (وظيفة الرسول الإنذار قبل الحساب، الآيات: ٤٥-٤٧) إلى الفقرة الرابعة (موسى وهارون عليهما السلام، الآيات: ٤٨-٥٠) بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٨).

- وفي المحور الثاني نفسه كان الانتقال من الفقرة الرابعة إلى الفقرة الخامسة (إبراهيم مع قومه، الآيات: ٥١-٧٣) بالنمط نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٥١).

- وفي سورة الأنبياء في المحور الثالث (علامات الساعة ومشهد من يوم الحساب، الآيات: ٩٦-١٠٥) كان الانتقال من الفقرة الثانية (نجاة المؤمنين من فزع يوم القيامة، الآيات: ١٠١-١٠٤) إلى الفقرة الثالثة (مظاهر قدرة الله ونعمه على العباد) بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

يمثل بناء الجملة في هذا النمط تحولاً في بناء الجملة الفعلية البسيطة التي تبني عادة على (فعل ماض + فاعل (اسم صريح) + مفعول به) مثل (أنزل الله كتاباً)، إذ تقوم

دلالة الجملة هنا على (إسناد حدث إلى فاعل محدد في إطار زمني ماضي)، فالزمن الماضي يدلُّ في أصل وضعه على تحقق الحدث وانقضائه قياساً إلى زمن التكلم (سببويه، ١٩٨٨، ١٢/١-١٣؛ ابن هشام، ٢٠٠١، ٤٤/١-٤٥). وبهذا تستعمل هذه الصيغة الأولية في بناء الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي لإسناد حدث وقع في زمن ماضٍ إلى فاعل مذكور ومسمى وعلى المستوى الدلالي تدل هذه الجملة على حدث متحقق بالنسبة إلى زمن مرجعي (زمن التكلم)،

والعدول عن استعمال الفاعل من الاسم الصريح إلى الضمير (نا) وتحويل بناء الجملة إلى صيغة (أنزلنا كتاباً) و(آتيناً) و(كتبنا)، يغير طريقة تقديم الفاعل إلى المخاطب، إذ إن بناء الجملة باستعمال الفاعل اسماً ظاهراً (أنزل الله) تجعل وظيفة الفاعل الخطابية تحديد من قام بالفعل وجعله موضوعاً ظاهراً في البنية اللفظية للجملة، فالمتكلم لا يكتفي بإخبار المخاطب عن حدوث (الإنزال) بل يزيد عليه بتحديد من قام بالفعل بوضوح، وظهور اسم الفاعل الصريح في بناء الجملة الفعلية سيزيل احتمال الالتباس ويظهر الفاعل باسمه في سياق عقدي أو حجاجي، فضلاً عن الإخبار عن تحقق نسبة المسند إلى المسند إليه.

أما تغيير الفاعل من الاسم الصريح إلى الضمير المتصل (نا) في هذه الجمل فيجعل منه إشارة تداولية فضلاً عن وظيفته النحوية بوصفه (فاعلاً قام بالفعل)، هذه الإشارة التداولية ستقل الخطاب من التصريح باسم الفاعل إلى الإحالة الضميرية، والضمير هنا (نا) الذي يرتبط بمفهوم الذات المتكلمة أو الجماعة التي تتحدث باسمها، وفي سياق هذه الآيات لا يمثل (نا) ضميراً لجماعة بل هو إشارة تداولية تدل على (التعظيم) بحسب السياق العقدي والتفسيري، أي إن المتكلم الواحد العظيم يُعبّر عن ذاته بصيغة الجمع. وبهذا يتبين أن صيغة (فَعَلْنَا) تجعل الفاعل محالاً عليه بواسطة الضمير مع استدعاء العلاقة بين المتكلم والمخاطب، ويمثل الضمير (نا) مرتكزاً له أهمية كبرى في التحليل

التداولي لهذه الجملة لما تمثله الضمائر من كونها أهم أدوات (الإشارات الشخصية) في الخطاب.

لم يتوقف التغيير في هذه الجملة على تحويل الفاعل من الاسم الصريح إلى الضمير بل أدخلت على الفعل (لقد) وهي تركيب يتكون من (لام التوكيد + قد) و(قد) أداة تفيد التحقيق عن دخولها على الفعل الماضي، أي تحقيق وقوع الفعل وتثبيته (ابن هشام، ٢٦٦/١٩٨٥)، وبدخول لام التوكيد عليها زادت قوة التقرير وصار التركيب أوثق في دلالة تحقيق وقوع الفعل، وبهذا تكون جملة (لقد أنزلنا إليكم كتاباً) جملة تدل على إخبار مؤكد محقق قد وقع في زمن ماض قياسي إلى زمن التكلم، والفرق التداولي الذي سبب زيادة (لقد) في الجملة هو حال المخاطب الذي كان منكراً أو شاكاً أو متردداً في تحقق نسبة المسند إلى المسند إليه، أي تحقق وقوع الفعل من الفاعل فدخلت (لقد) ورفعت من درجة القوة الإنجازية للتقرير، فالتكلم لا يختار بناء الصيغة اللغوية اعتباطاً، وإنما يختارها تبعاً لحال المخاطب ومقدار ما يحتاج إليه الخبر من تأكيد أو بمقدار ما يعتريه من شك أو اعتراض في قبول مضمون الجملة (الجرجاني، ١٩٩٢، ١/٥٠-٥١، ١٢٣).

مما تقدم يتبين أن التغيرات الدلالية التي نتجت عن بنية الجملة الفعلية (لقد + فعل ماض + نا + إليكم + مفعول به) عميقة، فجملة مثل (أنزل الله إلينا كتاباً) غايتها الدلالة على فعل (الإنزال) الفاعل هنا صريح (الله) والمفعول (كتاباً) أي أن بؤرة الدلالة هي الإخبار عن العلاقة الإسنادية بين الفاعل والفعل المسند إليه (الإنزال)، والتغير الأول الذي مرت هذه الجمل هي تحويل الفاعل من الاسم الصريح إلى الضمير (نا) وبذلك لم يعد الخطاب يقدم الفاعل باسم صريح، بل يقدم نفسه من داخل عملية التلفظ، وهذا يعني أن البنية أصبحت ذات طرفين إشاريين: (نا) وهي تعادل المتكلم (مصدر الرسالة) و (كم) وهي تعادل المخاطب متلقي الرسالة، وهذا يجعل الصيغة أكثر تخاطبية (المرسل ← الرسالة ← المتلقي) وهذه الإحالة تبني علاقة بين المرسل والمتلقي.

ثم تدخل (لقد) على الجملة فتزيد من كثافة الدلالة بزيادة القوة الإنجازية للجملة من (إخبار\تقرير) إلى (تقرير مؤكد + دفع للشك والإنكار + تثبيت وقوع الحدث)، وبهذا يتضح أن (لقد) تكشف موقف المتكلم من الخبر وموقفه المتوقع من المخاطب، وهذا التغيير مراعاة لحال المخاطب ومقامه. وبهذا يتبين أن استراتيجية الفعل الماضي المسند إلى ضمير المتكلمين (نا) والمؤكد بـ(لقد) كانت استراتيجية لغوية موائمة تماماً لتحقيق الغايات التخاطبية ومراعاة مقام الخطاب في الانتقالات الموضوعية بين الفقرات التي وردت فيها، ففي الوقت الذي تؤدي فيه جملة الفعل الماضي القياسية (فعل + فاعل اسم صريح + مفعول به) وظيفة الإخبار عن فعل ينسب إلى الفاعل في إحالة زمنية ماضية قياساً إلى زمن التكلم، كان التغيرات التي طرأت على الصيغة القياسية كفيلة بزيادة القوة التقريرية للمسند وتحقيق وقوع الحدث في ذهن المخاطب فضلاً عن زيادة وظيفة الفاعل إلى مستوى الإحالة من داخل مقام التلفظ وجعل الضمير (نا) مقابلاً للضمير (كم) في (إليك) وبهذا انتقل التركيب إلى موقف تخاطبي متكامل بين مصدر القول ومتلقيه وموضوع الرسالة.

٢- النمط الثاني من استراتيجية الجملة الفعلية الذي استعمل في انتقالات الموضوعات الفرعية هو: (الفعل الماضي + ث + الفاعل اسم صريح + المفعول به)، وقد تكرر هذا النمط في المحور الثاني من سورة الشعراء خمس مرات خلال الانتقال للفقرة الثالثة، ثم الفقرة الرابعة ثم الفقرة الخامسة ثم الفقرة السادسة ثم الفقرة السابعة من هذا المحور، وذلك أثناء ذكر قصة كل نبي من أنبياء الله المرسلين مع قومه، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٥)، ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٢٣)، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٤١)، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٠)، ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٧٦)، يلاحظ في هذا النمط بناء الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي على نمط البنية القياسية البسيطة (فعل + فاعل + مفعول به) مع تغيير واحد هو إضافة (تاء التأنيث الساكنة

للفعل الماضي) إلى أربعة من الجمل، وتلحق هذه التاء بالفعل للدلالة على جنس المسند إليه وكونه مؤنثاً، ويمكن النظر إلى (تاء) التأنيث الساكنة من ناحية تداولية بأنها علامة استباقية تهيء المتلقي لتفسير الفاعل اللاحق تفسيراً متوافقاً معها، واللغة العربية توجب الموافقة النوعية بين الفعل وفاعله لذا تلحق هذه التاء بالفعل الماضي عندما يكون الفاعل مؤنثاً وكذلك تسبق الفعل المضارع بتاء في أوله إذا كان الفاعل مؤنثاً، وبهذا تمثل (تاء التأنيث الساكنة) الملحقة بالفعل الماضي علامة (إحالية \ مطابقة) تكشف جنس المسند إليه ولا تمثل عنصراً دلاليّاً مستقلاً عن الحدث.

لقد تصدر الفعل الماضي في هذه الجمل الخمسة، وهذا يؤدي إلى تقديم (الحدث) على من قام به ويكون المتلقي مستقبلاً للحدث ثم من قام به فتركيز الخطاب يتمحور حول (الحدث) الذي دلّ عليه الفعل، وهو في هذه الآيات (التكذيب)، ثم يأتي بعد ذلك الفاعل، ثم المفعول به الذي وقع عليه تأثير الفعل، وكان المفعول به في الآيات الخمسة واحداً (المرسلين)، ولما كان الفعل في هذه الجمل الخمسة (كذب) فعلاً متعدياً يستوجب مفعولاً به، كان المشهد الحداثي مكتملاً والرسالة أكثر وضوحاً؛ لأن الفعل يربط بين طرف يقوم به (فاعل) وطرف يتلقى تأثيره (مفعول به) وتقديم الفعل في هذا النمط من البناء الجملي يجعل الحدث (التكذيب) نقطة الانطلاق البارزة في بناء الخبر، ومحور الخطاب، ثم تأتي تاء التأنيث الساكنة التي تهيء المتلقي لمعرفة جنس الفاعل وتجعل من الفعل موائماً في صيغته للفاعل، ثم يأتي الفاعل لتحديد من قام بالحدث، ثم المفعول به لتحديد مجال أثر الفعل.

أدى هذا النمط القياس في بناء الجملة الفعلية في هذه الآيات الخمسة وظيفة الجملة الفعلية، وهي وظيفة الإخبار عن حدث وقع في زمن قبل زمن التكلم من فاعل ووقع تأثيره على مفعول به، والفعل الماضي بهذا الشكل يؤطر الحدث (التكذيب) بوصفه متحققاً في الزمن الماضي، ومن الناحية التداولية، فإن تقديم الفعل على الفاعل يجعل الحدث هو نقطة الارتكاز في عملية الإخبار، بينما تعمل تاء التأنيث بوصفها علامة

استباقية توجه المتلقي إلى توقع جنس الفاعل قبل تلقيه، وبذلك تكون هذه البنية منظمة لمسار تلقي الحدث وتحديد العلاقات الدلالية بين أطرافه.

لقد مثلت الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي استراتيجية لغوية عالية الدقة لتحقيق انتقالات موضوعية مترابطة متسقة تتكامل فيها موضوعات الفقرات الفرعية مع بعضها بشكل انسيابي مترابط في كل محور من محاور سورتي الأنبياء والشعراء، واعتمدت تلك الانتقالات اللغوية على مراعاة متطلبات الموقف الخطابي بين المتخاطبين موظفة السياق والتركيب خير توظيف.

الاستراتيجية الثالثة: جملة الفعل الماضي المنفي ب(ما): استعملت هذه الاستراتيجية

في الانتقالات الفرعية في سورتي الأنبياء والشعراء مرتين، ينظر الجدول رقم (٢). وكان كلا الاستعمالين في سورة الأنبياء، وضمن المحور الأول (الإنذار والتحذير)، في الانتقال من الفقرة الثانية (التحذير بمصارع الأولين) إلى الفقرة الثالثة (حكمة الله وقدرته في خلق السماوات والأرض) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (الأنبياء: ١٦)، وللانتقال من الفقرة الرابعة (أدلة وحدانية الله وقدرته) إلى الفقرة الخامسة (حتمية الموت والرجوع إلى الله تعالى) في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

التركيب النحوي للجملتين هو: (ما النافية + فعل ماض + مفعول به + متعلقات حال أو جار ومجرور)، و(ما) هنا نافية غير عاملة في الفعل، وظيفتها الأساسية (سلب وقوع مضمون الجملة المنفية) (ابن هشام، ١٩٨٥، ٣٠٣/١)، وقد تحمل ضمن سياق معين قيمة زمنية وخطابية فضلاً عن وظيفتها الرئيسة، فهي عند دخولها على الماضي تنفي تحقق الحدث، وغالباً ما يكون الماضي المنفي بها قريب الصلة بالزمن المرجعي (زمن التكلم)، أو قريباً بالمقام الذي يعالجه الخطاب، وقد يمتد زمن النفي إلى الماضي

البعيد بحسب القرينة، ويمكن أن تجعل المنفي متصلًا بالحال أو بالمقام الخطابي، كل هذه التغيرات الزمنية والمقامية يحددها السياق (السامرائي، ٥٦٨/٢٠٠٠).

ما يلفت الانتباه في الآية الأولى أن النفي لم يتوجه إلى الخلق من حيث وجوده، بل توجه النفي إلى وصف مخصوص ملازم للخلق المفترض وهو كونه (عباً)، فالله تعالى لا يقول (ما خلقنا السماء والأرض) وإنما يقول: (وما خلقنا.... لاعبين)، أي إن فعل الخلق ثابت والمنفي هو أن يكون الخلق واقعاً على سبيل العبث واللغو، وبهذا أدت هذه الجملة وظيفية (نفي القصد العبثي) مع إبقاء أصل الفعل مثبتاً وهذا ما ذكره المفسرون، إذ جعلوا المعنى: لم يخلق الله ذلك عبثاً وباطلاً، وإنما خلقه حجةً ودليلاً وموضع اعتبار للناس، وبهذا يكون اللعب المنفي عن فعل الحكيم (الله تعالى) يقابله معنى الحكمة والقصد في فعله (الطبري، ٢٠٠٠، ٤١٩/١٨، القرطبي، ١٩٦٤، ٢٧٦/١١)، وتتأكد هذه الدلالة من مجيء (لاعبين) حالاً يبين هيئة الفاعل، والملابسة التي يقع عليها الفعل، وهذا التوجيه الدلالي يجعل النفي ذا قيمة تصحيحية حجاجية، فالآية تواجه تصوراً ضمنياً يمكن أن ينشأ من رؤية الكون، وما يقع فيه من ابتلاء، وموت واضطراب إنما هو من مبدأ (العبث أو الصدفة)، فجاءت النفي لإبطال هذا التصور وإحلال مبدأ (الحكمة والقصد والحق) (الزمخشري، ١٩٨٧، ١٠٦/٣).

وبهذا أسست هذه الجملة مقابلة دلالية بين طرفين (الخلق الحكيم → ← الخلق العبثي) وتضع المتلقي أمام نتيجة عقلية مفادها أن انتظام الكون وما فيه من إحكام لا ينسجم مع العبث، فتتحول الجملة المنفية إلى جزء من حجاج قرآني متكامل ضد تصور العبث. تداولياً لا ينبغي تفسير النفي في هذه الآية على أنه مجرد نفي صديقي لقضية (خلقنا الكون لاعبين)، بل هو فعل خطابي يقوم على تصحيح تصور ذهني محتمل لدى المخاطب، فالمتكلم لا يقدم معلومة محايدة فحسب، بل يتدخل في البنية الاعتقادية للمتلقي ليمنعه ممن بناء استنتاج مفاده أن الكون خلق بلا غاية، وبهذا أدت الجملة المنفية وظيفية حجاجية تضمن إعادة توجيه الاستدلال الذي يمكن أن يبنيه

المخاطب، وبهذا أدت جملة الفعل المضارع المنفي بـ(ما) مع الحال اللاحق بها ثلاث وظائف تداولية متداخلة: وظيفة تصحيحية بإبطال تصور العبث، ووظيفة حجاجية بإقامة الدليل على الحكمة في الخلق، ووظيفة توجيهية بنقل المخاطب من القضية المنفية إلى القضية التي يجب أن يتبناها، مجسدة انتقالاً متكاملًا من التحذير بمصارع الأولين إلى بيان حكمة الله وقدرته في الخلق.

وفي الآية الثانية اختلف مجال النفي، فهو ليس نفياً لحدث كوني عبثي، وإنما نفي لسنة استثنائية مفترضة، وهي أن يكون لبشر خلود في الدنيا، فنفت (ما) ثبوت الخلد لأبي بشر سابق على النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وبهذا تؤسس قاعدة عامة (الموت حتمي للبشرية، والنبوّة لا ترفع عن صاحبها الخصائص البشرية) (الطبري، ٢٠٠٠، ٤٣٩/١٨)، فالخطاب القرآني لا ينفي إمكان الموت للنبي (صلى الله عليه وآله)، بل يقرره ضمن سنة بشرية عامة، فهو ينزع من المشركين القيمة الحجاجية التي أرادوا أن يجعلوها لموته.

ومن المنظور التداولي، فإن الآية تقبل جزءاً من مقدمة الخصم، لكنها ترفض النتيجة التي يريد الوصول إليها، وهذا ما سمّاه بعض المفسرين (طريقة القول بالموجب) (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٦٣/١٧)، إذ سلّم لهم بموت النبي (صلى الله عليه وآله) من حيث الأصل، لكنه يبطل ما أرادوا أن يترتب عليه من الشماتة أو وزال الرسالة بموته. فقد قام التركيب هنا على تفكيك حجة المخاطب من داخلها، لإجباره على مراجعة استنتاجه وعندها سيكون المسار الحجاجي للقضية (إذا كان النبي بشراً فسيموت ← لكن موته لا يعني خلود خصومه ← لأنهم بشر كذلك ← إذن انتظار موته لا يحقق لهم ما يتوهمون)، فمثلت جملة النفي في الآية جزءاً من عملية استدلالية بين المتكلم والمخاطب لا مجرد عملية قلب للقيمة الصديقة للقضية.

لقد حققت استراتيجيّة الجملة ذات الفعل الماضي المنفية بـ(ما) مع سياقها التي وردت ضمنه في هذه الآية انتقالاً لغويّاً منسجماً تماماً يربط بين موضوعين ذكر (أدلة

وحداية الله وقدرته) ثم الانتقال إلى تقرير (حتمية الموت والرجوع إلى الله تعالى) ليبطل حجة الخصم وما يتبناه فكرياً وعقدياً.

الاستراتيجية الرابعة: جملة الشرط: استعملت هذه الاستراتيجية في الانتقالات

الفرعية في سورتي الأنبياء والشعراء أربع مرات، كما يتضح من الجدول رقم (٢).
وبنيت جمل الشرط في ثلاث مرات منها باستعمال حرف الشرط (إن)، ويعد هذا الحرف الجازم أصل أدوات الشرط، وتدخل (إن) على فعلين الأول يسمى فعل الشرط والثاني جوابه وتعمل فيهما الجزم، وعلى مستوى الدلالة فإن هذه الأداة تؤسس لعلاقة ترابط بين مضمونين، مضمون الشرط ومضمون الجزاء، وتجعل وقوع الثاني معلقاً على وقوع الأول، (إسماعيل، ١٩٤-١٩٣/٢٠١٥)، وتستعمل (إن) لما يُحتمل وقوعه أو لا يكون وقوعه متحققاً في ذهن المخاطب، ومن موارد استعمالها في القرآن الكريم أنها تستعمل لغرض تداولي يجعل تنزيل الأمر المحتمل أو المفترض منزلة الشرط، وتركه في صورة الاحتمال بالنسبة إلى المخاطب (الزمخشري، ١٩٨٧، ٦٥/١؛ إسماعيل، ١٩٤/٢٠١٥).

في المحور الرابع من سورة الأنبياء (وظيفة الرسول وصفته وتهديد المعاندين) استعملت جملة الشرط المبنية باستعمال الأداة (إن) للانتقال من الفقرة الأولى (وظيفة الرسول وصفته) إلى الفقرة الثانية (تهديد عام للمخالفين)، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٩). وقد بنيت جملة الشرط هنا على النمط (ف + إن + تولوا + ف + قل + آذنتكم..) من الناحية التركيبية نجد الاستعمال القرآني هنا لم يعدل عن الصورة القياسية المألوفة في بناء جملة الشرط، ودلالياً لا يعني اختيار أداة الشرط (إن) أنَّ (توليَّ المخاطبين) في هذه الجملة مجهولاً بالنسبة إلى السياق، وإنما يصوغ موقفهم في صورة الاحتمال المشروط، أي: إن وقع منهم التولي فالموقف الذي يترتب عليه هو الإعلان الصريح، فالشرط هنا لا يقتصر على

ربط حدث حدث بحدث، بل يضع أمام المخاطب صورة تواصلية مكتملة (الإعراض عن الدعوة ← الإعلان عن انتهاء حالة المسالمة وإظهار الموقف على نحو واضح)، وقد فسر الطبري (إن تولوا) بمعنى إعراض المشركين عن الإيمان ورفضهم الإجابة، وفسر (آذنتكم على سواء) بأنها تفيد إعلامهم بأن العلاقة أصبحت (لا صلح ولا سلم بينهما) (الطبري، ٢٠٠٠، ٥١٤/١٨)، والدلالة التداولية لهذا الجملة الشرطية هي إدارة العلاقة بين المتكلم والمخاطب على أساس الوضوح والإعلام المسبق، فالنبي (صلى الله عليه وآله) لا ينتقل مباشرة إلى إعلان القطيعة، وإنما يعلق ذلك على فعل المخاطبين (إن تولوا)، وهنا يحقق مبدأً تداولياً مهماً، هو (رفع الالتباس عن الموقف التواصلية)، عبر علم المخاطب المسبق بما يترتب عليه اختياره وفعله. وبهذا يكون جواب الشرط (فقل) فعلاً كلامياً توجيهياً، ولكنه لا يتجه مباشرة إلى المخاطبين الأوليين، بل يتجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بوصفه منفذا للفعل الكلامي، وبهذا يمكن تحليل الآية تداولياً على مستويين التوجيه الإلهي للنبي من جهة، والإعلان النبوي للمخاطبين من جهة أخرى، وقد فسر ابن كثير معنى (آذنتكم على سواء) بأنه يتضمن علم الطرفين بالموقف علماً متساوياً وهو ما يعزز وظيفة الشرط في تنظيم العلاقة الخطابية (ابن كثير، ١٩٩٩، ٣٨٨/٥)، وجاءت هذه الاستراتيجية اللغوية باستعمال جملة الشرط متسقة تماماً مع الانتقال من بيان وظيفة الرسول إلى التهديد العام للمخالفين، ومراعية لما يتطلبه الموقف الخطابي والعلاقة بين أطرافه.

أما في سورة الشعراء فقد استعملت جملة الشرط المبنية بالأداة (إن) ضمن المحور الأول (تسليّة الرسول صلى الله عليه وآله) وتثبيته للانتقال من الفقرة الثانية (تسليّة الرسول والإشفاق عليه) إلى الفقرة الثالثة (قدرة الله على إنزال الآيات والتهديد بالعذاب الموعود)، قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: ٣). والشرط هنا كاشف عن علاقة القدرة الإلهية بالنتيجة الممكنة، ويلاحظ أنّ بنية جملة الشرط (إن + فعل الشرط + جواب الشرط) + (نشا) + جواب الشرط

(نزل)) والفاعل في الفعلين ضمير مستتر تقديره (نحن)، ثم تلتها جملة (فَظَلَّتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) وهي جملة متفرعة عن نتيجة الإنزال (جواب الشرط)، وبهذا يرتبط التركيب كله بسلسلة سببية متصلة متدرجة. فكأنَّ جواب الشرط (المشيئة ← الإنزال ← الخضوع)، وقد لاحظ الزمخشري عطف جملة (فظلت) على جواب الشرط (نزل)، وأشار إلى أن المعنى يتدرج من المشيئة إلى الإنزال ثم إلى أثر الإنزال في المخاطبين (الزمخشري، ١٩٨٧، ٢٩٨/٣).

واستعمال (إن) لبناء جملة الشرط في هذه الآية لا يعني الشك في المشيئة أو احتمال عدم التحقق في علم المتكلم (الله جلَّ شأنه) ومنظوره، بل تجعل الفعل في صورة الشرط والاحتمال من منظور المتلقي، فليس المعنى أنَّ الله سبحانه يشك في إمكان الإنزال، وإنما المقصود (إنَّ إظهار الآية الملجئة إلى الإيمان، ليس أمراً لازماً أو مفروضاً في الحكمة الإلهية، وإنما هو داخل في المشيئة)، وقد بيَّن الرازي أنَّ الآية ترد في بيان سياق القدرة على إنزال آية قاهرة تحملهم على الخضوع مع أنَّ الله لم يفعل ذلك (الرازي، ١٤٢٠، ٤٩٠/٢٤)، وهكذا يظهر الفرق بين (القدرة على الإلجاء) و(اختيار عدم الإلجاء).

لقد أدَّت (إن) وظيفة تعليق النتيجة على المشيئة وترك للمخاطب إدراك أنَّ تحقق الجزاء ليس أمراً لازماً بذاته، وإنما هو متوقف على إرادة المتكلم الأعلى، وبهذا اكتسبت جملة الشرط هنا بعداً حجاجياً، فهي جاءت في سياق تسليية النبي (صلى الله عليه وآله) وحزنه لعدم إيمان قومه، فبعد الفقرة الأولى (تسليية النبي (صلى الله عليه وآله) والاشفاق عليه) انتقل الخطاب القرآني بهذه الجملة الشرطية التي تخاطب النبي (صلى الله عليه وآله) بأن لا يجعل عدم استجابتهم وإيمانهم سبباً لحزنه وهلاك نفسه؛ لأنَّ الله تعالى قادر على حملهم على الإيمان قهراً، ولكنه لم يجعل ذلك طريق الإيمان المقصود، فقد أدَّت جملة الشرط وظيفة تداولية تتجاوز (التعليق) إلى التعليل والحجاج وبيان القدرة مع عدم استعمالها على وجه الإلجاء. فكانت الانتقالة بين موضوعي

الفقرتين عبر استراتيجية جملة الشرط في غاية الإبداع الكلامي الذي يراعي غايات الخطاب.

وكذلك استعملت هذه الاستراتيجية مرة أخرى في سورة الشعراء ضمن المحور الرابع (وظيفة الرسول وإنذار المعاندين)، إذ وردت جملة الشرط للانتقال من الفقرة الأولى (بيان وظيفة الرسول) إلى الفقرة الثانية (البراءة من عمل المعاندين)، قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء: ٢١٦). وهنا بنيت الجملة أيضًا بناءً قياسيًّا باستعمال أداة الشرط (إن)، ولا يعني هذا الاستعمال أن فعل الشرط (العصيان) مجهولاً تماماً، وإنما يضعه في حيز الفرض التداولي: أي إذا اختاروا العصيان فالموقف الذي ينبغي إعلانه هو البراءة من عملهم، وبهذا لا يبدأ المتكلم بالبراءة، بل يجعلها نتيجة مشروطة بفعل الطرف الآخر، وفعل الجواب (قل) هنا ليس مجرد فعل لغوي وإنما هو فعل كلامي إنجازي؛ إذ يطلب من النبي (صلى الله عليه وآله) أن ينجز قولاً محدداً عند تحقق الشرط، ويمكن تمثيل مضمون جملة الشرط تداولياً (الشرط الذي يصدر عن المخاطب (العصيان) ← الجواب (قل) ← الإجراء الكلامي (إني بريء..)) ← مضمون الفعل الكلامي ونتيجة تواصلية)، وبهذا تزداد قوة هذه الدلالة لأن البراءة إعلان موقف ومباعدة ومسؤولية، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في تفسيره (بريء)، إذ أشار إلى أنها تتضمن معنى الخلوص والمباعدة وعدم التلبس بالفعل، وأن استعمال الفعل (تعملون) يشمل الأعمال التي تقع منهم في الحال والاستقبال لا على عمل ماضٍ مخصوص (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢٢٧/١١)، وقد مثلت هذه الجملة الشرطية انتقالاً لغوية بين غرضين دلاليين مناسبة تماماً ومنسجمة مع بيان وظيفة الرسول والانتقال إلى براءته من أعمال الكافرين.

ومما تقدم يتبين إن ثبات البنية النحوية لجملة الشرط المستعملة في هذه الاستراتيجية اللغوية في الآيات الثلاثة، وهي (التعليق والاحتمال وعدم الجزم بوقوع الشرط من منظور الخطاب) لم يُعَقَّ من تنوع الوظيفة التداولية في الاستعمال القرآني،

فقد وظف الخطاب القرآني هذا الأصل الثابت لتحقيق أغراض تداولية أوسع أدتها كل جملة من الجمل الثلاثة مستثمرة السياق وحال المتخاطبين في عملية التخاطب، ووقّرت ثبات الصيغة النحوية للجمل إطاراً تركيبياً ثابتاً تتنوع داخله المقاصد والآثار الإنجازية بحسب المقام، وهذا من بديع النظم القرآني.

واستعملت أداة الشرط (لو) في مرة واحدة، في سورة الأنبياء ضمن المحور الثاني (وظيفة الأنبياء ومسيرتهم) في الانتقال من الفقرة الأولى (مواقف المشركين مع الرسول واستهزاؤهم به) إلى الفقرة الثانية (قدرة الله على نصرته وإمهال الكافرين) في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٩). في هذه الآية الكريمة تتداخل الدلالة النحوية لأداة الشرط (لو) غير الجازمة مع الدلالة البلاغية والتداولية للسياق؛ إذ لا يقتصر استعمالها هنا على التعليق الشرطي المجرد، وإنما يسهم تركيبها تؤثر عدّة عوامل معاً ولا سيّما (استعمال الفعل المضارع معها) و(حذف جواب الشرط) و(السياق الحوارية) في بناء خطاب إنذاري شديد التأثير.

الشرط في هذه الآية هو: (يعلم الذين كفروا) وليس المراد منه مجرد افتراض معرفة عابرة، بل العلم هنا بمعنى المعرفة المتيقنة بحقيقة العذاب ومآل التكذيب، وقد فسر الطبري هذا العلم بأنهم لو علموا ما يلاقونه من البلاء حين تحيط بهم النار لسارعوا إلى التوبة والإيمان ولما استعجلوا العذاب الذي كانوا يتحدونه به (الطبري، ٢٠٠٠، ٤٤٥/١٨)، وبهذا تكتسب (لو) هنا دلالة خاصة، فهي تدخل المتلقي في عالم افتراضي ممتنع أو غير متحقق في الحال، فالآية لا تخبر بأنهم يعلمون، وإنما تفترض افتراضاً بلاغياً: أنهم لو امتلكوا العلم اليقيني بحقيقة ما ينتظرهم لكان موقفهم مختلفاً تماماً، أي أن الأداة (لو) أدت وظيفة كشف التناقض بين واقع الكافرين المعرفي وواقع المصير الذي ينتظرهم: هم في الدنيا يستعجلون الوعد بالعذاب ويستهزئون به بينما في الحقيقة

التي ستتكشف لهم سيكونون في موقف يعجزون فيه عن دفع النار عن وجوههم أو ظهورهم، ولا يجدون من ينصرهم، ولهذا جاء استعمال (لو) مناسباً للسياق تماماً. ومما ينبغي الإشارة له أنَّ فعل الشرط في هذه الجملة الشرطية كان فعلاً مضارعاً (يعلم) مع أن (لو) في أصل استعمالها الشرطي ترتبط غالباً بأحداث ماضية، أو مفترضة بعيدة التحقق، وهذا الاختيار منح التركيب بعداً دلاليّاً؛ إذا جعل (العلم) حالة ذهنية مفترضة ومستمرة في التصور، وليس فعل وقع في لحظة زمنية محددة.

وأبرز ما في هذه الجملة الشرطية هو حذف جواب الشرط منها، وهذا الحذف ليس نقصاً في البنية التركيبية، بل هو استراتيجية لغوية مقصودة؛ لأن ذكر الجواب سيحصر أثر الشرط في نقطة معينة، بينما حذفه يفتح المجال أمام المتلقي لاستحضار مجموعة واسعة من النتائج، مثل: (لما كفروا)، (لما استهزؤوا)، (لما استعجلوا)، (لما أصرّوا على موقفهم)، لذا نصَّ بعض المفسرين على أن حذف جواب (لو) هنا مقصود، وهو أحسن من ذكره، وقد يدل الحذف على "تهويل جنسه فتدّهب نفس السامع كلّ مذهب" (الرازي، ١٤٢٠، ٢٧٢/٣٢؛ ابن عاشور، ١٩٨٤، ٧٠/١٧)، ومن المنظور التداولي فإن حذف جواب الشرط يُحمّل المتلقي جزءاً من عملية إنتاج المعنى، فالمتكلم لا يقدم النتيجة بصورة صريحة وإنما يقدم المعطيات التي تجعل استنتاجها حتمياً أو شبه حتمي، وبهذا كان حذف الجواب وسيلة لإشراك المتلقي في بناء صورة المصير الأخرى، وأعاد الآيات بناء موقف المخاطبين من الوعد الإلهي، فالكافرون يسألون سؤالاً استهزائياً (متى هذا الوعد؟) وبهذا السؤال يتعاملون مع تأخر العذاب بوصفه دليلاً ضمناً على عدم وقوعه، فتأتي جملة الشرط لتقلب هذه الحجة عليهم وتبين أن المشكلة ليست في عدم وقوع العذاب، وإنما في عدم امتلاكهم العلم اليقيني بحقيقة ما ينتظرهم. فتحول (لو) وجملة الشرط من مجرد أداة تعليق إلى وسيلة لإعادة تأطير الموقف الحوارية. وبناء أثر تداولي قوامه التهديد والتقريع وإبطال حجتهم القائمة على الاستعجال. ويمكن القول إن استعمال استراتيجية جملة الشرط بهذا البناء التركيبي مكن

الخطاب القرآني من تحقيق انتقالٍ مثالي من فقرة (بيان مواقف المشركين مع الرسول واستهزائهم به) إلى فقرة متصلة بها اتصالاً معنوياً ودلائياً، وهي (قدرة الله على نصر رسله وإمهال الكافرين).

ثانياً: استراتيجيات الجمل الإنشائية:

الاستراتيجية الإنشائية الأولى: أسلوب الاستفهام: استعملت هذه الاستراتيجية في

الانتقالات الفرعية في السورتين ثلاث مرات، كما يتضح من الجدول رقم (٢).

المرّة الأولى: في سورة الأنبياء المحور الأول (الإنذار والتحذير) في الانتقال من الفقرة الثالثة (حكمة الله وقدرته في خلق السماوات والأرض) إلى الفقرة الرابعة (أدلة وحدانية الله وقدرته في خلق السماوات والأرض)، في قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢١)، قال المفسرون: " هذه (أم) المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة، قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها، والمُنْكَرُ: هو اتخاذهم آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ الموتى" (الزمخشري، ١٩٨٧، ١٠٨/٣؛ الرازي، ١٤٢٠، ١٣٦/٢٢)، والاستفهام هنا مجازي " قَالَ الْمُفْضَلُ: مَقْصُودُ هَذَا الاسْتِفْهَامِ الْجَحْدُ، أَيْ لَمْ يَتَّخِذُوا آلِهَةً تَقْدِرُ عَلَى الْإِحْيَاءِ" (القرطبي، ١٩٦٤، ٢٧٨/١١). وقال أبو حيان " و(أم) هنا منقطعة تقدر ببل والهمزة ففيها إضرابٌ وانتقالٌ مِنْ خَبَرٍ إِلَى خَبَرٍ، وَاسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ وَالْإِنْكَارُ أَيْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ يَنْصِفُونَ بِالْإِحْيَاءِ وَيَقْدِرُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى الْإِمَاتَةِ، أَيْ لَمْ يَتَّخِذُوا آلِهَةً بِهَذَا الْوَصْفِ بَلِ اتَّخَذُوا آلِهَةً جَمَادًا لَا يَنْصِفُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى شَيْءٍ فَهِيَ غَيْرُ آلِهَةٍ لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الْإِلَهِ الْقُدْرَةُ " (الأندلسي، ١٤٢٠، ٤١٧/٧).

وإذا نظرنا إلى هذه الاستراتيجية نجدها مثلاً بالغ الدقة تداخل فيه الاستفهام البلاغي مع الفعل الكلامي والحجاج التداولي، فهي على المستوى النحوي (جملة استفهام) باستعمال (أم) المنقطعة وجملة (هم يُنْشِرُونَ) في سياق السؤال، وعلى المستوى البلاغي الاستفهام خارج عن الحقيقة إلى الإنكار والتوبيخ والتعجب، وعلى

المستوى الدلالي تمكن هذا الأسلوب من نفي قدرة الآلهة المزعومة على الإحياء والبعث، وعلى المستوى الحجاجي ألزم المشركين بنتيجة لازمة لدعوى الإلهية؛ إذ إن (الإله) ينبغي أن يكون (قادراً)، وعلى المستوى التداولي مثلت هذه الاستراتيجية إنجاز فعل كلامي غير مباشر غايته: زعزعة موقف المخاطب، وإلزامه، وتوجيهه إلى الاعتراف ببطلان دعواه، وعلى المستوى التأثيري النفسي أحدثت هذه الاستراتيجية التعجب والاستنكار والتوبيخ في نفس المخاطب بتوليد مزيج من المشاعر النفسية التي تدفعه إلى إعادة تقييم اعتقاده، وبذلك يكون استعمال هذه الاستراتيجية اللغوية مطابقاً تماماً لمقتضى الحال، وموافقاً لمراعاة سياق الموقف والغاية من الخطاب.

المرة الثانية: التي استعملت فيها استراتيجية أسلوب الاستفهام في سورة الشعراء المحور الأول (تسليّة الرسول وتثبيتته) في الانتقال من الفقرة الثالثة (قدرة الله على إنزال الآيات والتهديد بالعذاب الموعود) إلى الفقرة الرابعة (بيان قدرة الله تعالى وعظمته ورحمته)، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء: ٧)، والاستفهام هنا مجازي أيضاً لا حقيقي غرضه الإنكار والتوبيخ و"إقامة الحجة عليهم بأنهم لا تُعني فيهم الآيات؛ لِأَنَّ الْمُكَابَرَةَ تَصْرِفُهُمْ عَنِ التَّأَمُّلِ فِي الْآيَاتِ، وَالْآيَاتُ عَلَى صِحَّةٍ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ قَائِمَةٌ مُتَطَاهِرَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُمْ قَدْ عَمُوا عَنْهَا فَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ، فَلَا عَجَبَ أَنْ يَضْلُوا عَنْ آيَاتِ صِدْقِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَوْنُ الْقُرْآنِ مُنَزَّلاً مِنَ اللَّهِ فَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُتَطَلِّعِينَ إِلَى الْحَقِّ بَاحِثِينَ عَنْهُ لَكَانَ لَهُمْ فِي الْآيَاتِ الَّتِي دُكِّرُوا بِهَا مَقْنَعٌ لَهُمْ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي يَقَرِّحُونَهَا" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٩/١٠٠)،

في هذه الآية أيضاً يتضح جلياً تداخل الاستفهام الإنكاري التوبيخي مع الحجاج والتوجيه التداولي؛ إذ لا يراد بالاستفهام هنا طلب العلم بشيء مجهول عند المتكلم معلوم عند المخاطب، وإنما حمل المخاطبين على الالتفات والتأمل في آية كونية ظاهرة (الإنبات لك نباتات الأرض)، ثم إلزامهم بما تقتضيه هذه الآية (الإنبات)، من الاعتراف

بقدره الله ووحدانيته، وبهذا تكون الدلالة النحوية للجملة: الاستفهام باستعمال همزة الاستفهام، والدلالة البلاغية لها: استفهام مجازي خرج إلى غرض الإنكار والتوبيخ، والإنكار هنا لا يتوجه إلى الرؤية الحسية فحسب، وإنما إلى تعطيلها عن وظيفتها الاستدلالية، وإلى إعراض المخاطبين عن التأمل في الآيات التكوينية القائمة أمامهم، أما الدلالة التداولية للجملة: فتمثل فعلاً كلامياً غير مباشر تتولد عنه قوّة إنجازية قوامها التنبيه والتوبيخ والحث على النظر والاعتبار، ثم تنمو هذه القوة وتتطور الوظيفة إلى وظيفة حجاجية تتمثل في حمل المخاطب على الانتقال من مشاهدة ظاهر الإنبات إلى استنتاج قدرة المنبت على الإحياء والبعث، وقد تعاضدت الدلالات لترسيخ هذه الوظيفة الحجاجية عبر اقتران الاستفهام بتعبير (كم أنبتنا) و(من كل زوج كريم) فقد تعاضمت الحجة في الجمع بين الكثرة والإحاطة والنفع، حتى يأتي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لتبين النتيجة الحجاجية الصريحة، وعلى مستوى الأثر النفسي فقد ولد هذا الاستفهام أثراً نفسياً في المتلقي يشعره بالتقصير والغفلة، ثم الإحساس بتناقض موقفه، مما يدفعه إلى إعادة توجيه انتباهه إلى الظاهرة الكونية (الإنبات) لينتقل من المشاهدة الحسية إلى الاعتبار والتفكير العقلي، وصولاً إلى الإيمان بقدره الخالق.

ومما تقدم يمكن القول: إن استعمال الاستفهام المجازي كان استراتيجية لغوية ملائمة تماماً لمتطلبات الموقف الخطابي وما يقتضيه من مناسبة المقام للمقال، في الانتقال من موضوع بيان قدرة الله على إنزال العذاب إلى موضوع التفكير في خلق الله وصولاً إلى الإيمان به إلهاً خالقاً قادراً ربّاً للكون، وكانت هذه الانتقال مراعية تمام للاستراتيجية التداولية الحجاجية التي تسعى إلى إعادة توجيه المخاطب من الرؤية الحسية إلى المعرفة الاعتبارية، ومن الغفلة إلى الاستدلال، ومن الاستدلال إلى الإقرار بالقدرة الإلهية.

المرة الثالثة: التي استعملت فيها استراتيجية أسلوب الاستفهام في سورة الشعراء المحور الرابع (وظيفة الرسول وإنذار المعاندين) في الانتقال من الفقرة الثالثة (التوكل

على الله واللجوء إليه) إلى الفقرة الرابعة (بيان صفة المعاندين والمكذبين وإنذارهم بالمصير المحتوم)، في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (الشعراء: ٢٢١)، والاستفهام هنا ليس سؤالاً حقيقياً، ينتظر من المخاطب جوابه، بل هو استفهام صوري مجازي انتقل إلى التقرير والتوقيف والتشويق إلى تلقي الخبر، ويؤدي غاية بالغة الأثر وهي التعريض القوي بالذين اتهموا النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه يتلقى القرآن الكريم عن الشياطين، قال الأندلسي: " وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ تَوْقِيفٌ وَتَقْرِيرٌ، ...، فَالْمَعْنَى هُنَا: هَلْ أَعْلِمُكُمْ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَيْهِ؟ لَا أَنَّهُ اسْتَعْلَمَ الْمُخَاطَبِينَ عَنِ الشَّخْصِ الَّذِي تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَيْهِ. وَلَمَّا كَانَ الْمَعْنَى هَذَا، إِذَا الْإِخْبَارُ بَعْدَهُ يَقُولُ: تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: هَلْ أَخْبَرْتُكُمْ بِكَذَا؟ قِيلَ لَهُ: أَخْبِرْ، فَقَالَ: تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ، ...، وَالْمُرَادُ الْكَهَنَةُ. " (أبو حيان، ١٤٢٠، ١٩٩/٨)، وبهذا يكون المعنى التداولي لجملة الاستفهام في هذه الآية: سأخبركم على حقيقة من تنزل عليهم الشياطين: إنهم الأفاكون الآثمون. إن التقرير بوصفه غرضاً مجازياً للاستفهام يحمل المخاطب على الإدعان والاعتراف بأمر معلوم أو ظاهر، وبهذا تحول الاستفهام في هذه الآية إلى فعل كلامي غير مباشر حقق وظيفة التشويق والتطلع إلى معرفة الجواب، ومن ثم حقق وظيفة التقرير بتثبيت الحقيقة في ذهنه وإلزامه بها، فالخطاب يستدرج المخاطب إلى معرفة النتيجة (الشياطين لا تنزل على النبي (ص) وإنما تنزل على الأفاكين الآثمين)، وبهذا أدى الاستفهام المجازي وظيفة حجاجية تقريرية، فهو مَهَّدَ لإقامة الحجة على بطلان دعوى المشركين، والوظيفة النهائية لهذه الاستراتيجية اللغوية هي إعادة بناء تصور المخاطب، وإعادة توجيه موقفه من الدعوى السابقة (القرآن تنزل به الشياطين على النبي (صلى الله عليه وآله)) وإسقاطها من داخل بنيتها الحجاجية، ومنه يتضح أن استعمال استراتيجية الانتقال من الموضوع السابق (التوكل على الله واللجوء إليه) إلى الفقرة التالية وهي (بيان صفة المعاندين والمكذبين وإنذارهم بالمصير المحتوم) كان متفقاً تماماً مع الغرض التداولي، وملئاً لمقتضى حال المخاطب.

الاستراتيجية الإنشائية الثانية: أسلوب الأمر: استعملت هذه الاستراتيجية في الانتقالات الفرعية في سورتي الأنبياء والشعراء إحدى عشرة مرة، كما يتضح من الجدول رقم (٢).

مما يلفت النظر في استعمال استراتيجية أسلوب الأمر ورود ثمانى انتقالات منها وقد بنيت جملة الأمر فيها على نسق واحد، وهو: (حذف فعل الأمر والفعل وإبقاء المفعول به دالا على جملة الأمر)، فنجد أن الآيات الكريمة كانت تبدأ بالطريقة الآتية: ﴿ولوطاً...﴾ (الأنبياء: ٧٤)، ﴿ونوحاً...﴾ (الأنبياء: ٧٦)، ﴿وداودَ وسليمانَ...﴾ (الأنبياء: ٧٨)، ﴿وأيوب...﴾ (الأنبياء: ٨٣)، ﴿واسماعيل...﴾ (الأنبياء: ٨٥)، ﴿وذا النون...﴾ (الأنبياء: ٨٧)، ﴿وزكريا...﴾ (الأنبياء: ٨٩)، ﴿والتي أحصنت فرجها...﴾ (الأنبياء: ٩١)، فكل اسم من أسماء الأنبياء التي بدأت بها تلك الانتقالات الفرعية يُعربُ مفعولاً به منصوباً لفعل محذوف تقديره (اذكر أو اتل)، والفاعل في تلك الجمل ضمير مستتر وجوباً دالٌّ على المخاطب تقديره (أنت)، ويعود هنا على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) (الطبري، ٢٠٠٠، ٤٧٢/١٨؛ صالح، ١٤١٨، ٢٤٢/٧)، فنجد أن الانتقال إلى ذكر قصة كل نبي من هؤلاء الأنبياء الكرام كان يتم عبر استعمال استراتيجية (جملة أمر إنشائية محذوفة الفعل والفاعل، ويكتفى فيها بالمفعول به)، وقد تكلمنا عن هذه الاستراتيجية مفصلاً في المبحث الثاني، إذ كانت هذه الاستراتيجية هي نفسها التي استعملت في الانتقال من المحور الأول إلى المحور الثاني في سورة الشعراء عندما بدأت الآيات بذكر قصص الأنبياء، وبدأت بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠)، فكانت (إذ) في محل نصب مفعولاً به لفعل أمر محذوف تقديره (اذكر، أو اتل).

وهكذا تكون الآيات في نسق واحد إذ طُلب من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يذكر ويستحضر قصة كل نبيٍّ من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في هذه الآيات الكريمة بما جرى عليهم من محن وابتلاءات، والمراد من هذه الأوامر استحضر قصة كل نبي منهم

وصفاته وموقفه وعاقبة قومه في ذهن المتلقي، وبهذا يكون أسلوب الأمر في هذه الجمل أمراً بلاغياً خارجاً عن معناه الأصلي (مجرد ذكرهم) إلى معنى التذكير والاعتبار بقصصهم والاهتمام بشأنهم، والدليل على هذا الغرض أن الأمر لم يطلب ذكرهم فحسب، بل تبعه بما من الله به على كل نبيٍّ منهم من نعم وكرامات ومعجزات، وهكذا يتضح أن المطلوب ليس مجرد ذكر اسم كل نبيٍّ من الأنبياء الكرام بل استحضار شخصيته وتجربته الدعوية وما تضمنته من تعامل وحكم وما آل إليه مصيره من نجاة ورفعة.

وقد أسهم حذف فعل الأمر والفاعل والإبقاء على المفعول به في هذا الأسلوب في إيجاز بليغ قاد المتلقي إلى شدة الاتصال مع المتكلم تحقيقاً للغرض التواصل بينهما. ويزيد من مشاركته في بناء المعنى، عبر قدرته على استعادة الفعل المحذوف اعتماداً على السياق، فينتقل من مجرد متلقي للمعلومة إلى مشارك في إعادة بناء البنية الخطابية. وقد يمنح الحذف أسلوب الأمر قوة تداولية لا يوفرها التصريح بالفعل.

إن افتتاح الجملة بالمفعول به وهو اسم النبي هنا يجعل من ذلك النبي بؤرة خطابية تتجه إليها عناية المتلقي قبل أن يأتي التفصيل وبيان أحواله. وهذا منسجم تماماً مع ما قرره عبد القاهر من أن الحذف قد يكون أبلغ من الذكر متى كان في السياق ما يدل على المحذوف (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ١٧٠-١٧١).

وبهذا تكون الدلالة التداولية التي أدتها هذه الاستراتيجية اللغوية (جملة أمر محذوفة الفعل والفاعل وتبدأ بالمفعول به) أنها تمثل فعلاً كلامياً توجيهياً؛ لأن الأمر في أصله يوجه المخاطب إلى القيام بفعل، ولكن الفعل التوجيهي هنا لم يطلب لنفسه، وإنما لتوجيه الانتباه والذاكرة والوعي لاستخلاص العبرة، وبهذا يمكن تمثيل القوة الإنجازية للأمر هنا على النحو الآتي: (اذكر ← استحضر ← تأمل ← اعتبر ← استخلص العبرة)، فأسلوب الأمر المقدر بالفعل (اذكر) يفتح مجالاً معرفياً أمام المخاطب، ينتهي به لمراجعة موقفه، وهذا الفهم التداولي لاستعمال هذه الاستراتيجية اللغوية متفق مع مفهوم الأفعال التوجيهية عند (سيرل) فهو يرى أن الأفعال التوجيهية تشمل ما يقصد

به المتكلم حمل المخاطب على القيام بفعل معين وتختلف القوة المقصودة بحسب السياق (Sear, 1975, pp. 66-67)، وهكذا يكون الفعل المطلوب من المخاطب في هذه الآيات الكريمة ذهنياً – معرفياً، أي استذكار شخصية كل نبيٍّ منهم وما ارتبطت به من دلالات.

مما تقدم تكون الوظائف الدلالية المتعددة المتحققة من استراتيجية (جملة فعل الأمر المحذوف الفعل والفعل): (توجيهية) توجيه المتلقي إلى شخصية كل نبي من الأنبياء المذكورين، (تنبيهية) لفت الانتباه إلى موضوع جديد من خلال شخصية كل نبي منهم وقصته، (استحضارية) استحضار قصد كل نبي من الأنبياء وموقفه في ذهن المتلقي (تذكيرية) إعادة القضية إلى الذاكرة والسياس، (اعتبارية) حمل المتلقي على استخلاص العبرة من قصة كل نبيٍّ، (حجاجية) الاستدلال بقصة كل نبيٍّ منهم على عاقبة المخالفين والمعانددين، (تقويمية) تقديم كل نبيٍّ بوصفه نموذجاً للإصلاح. وبهذا نرى أن استعمال أسلوب الأمر بهذه الصياغة البنائية يمثل استراتيجية لغوية مناسبة تماماً للانتقالات الموضوعية عند ذكر قصص الأنبياء ضمن محور واحد بشكل متسق ومترابط ولّد ترتيبية دلالية متوالية تحقق الغايات التداولية التي نظمت من أجلها.

عدا هذه الاستعمالات الثمانية نجد ثلاث مرات استعمال فيها أسلوب الأمر في الانتقالات الفرعية بين فقرات المحاور الرئيس في السورتين، وردت فيها جملة فعل الأمر بإظهار الفعل والفاعل بصورتها القياسية، وكان فعل الأمر فيها موجهاً للمفرد المخاطب، وبهذا يكون الفاعل ضميراً مستتراً وجوباً تقديره (أنت)، والمعني به هو (النبي الأكرم صلى الله عليه وآله)؛ إذ إن الخطاب موجه له مباشرة، وعلى النحو الآتي:

الانتقال من الفقرة الثانية (قدرة الله على نصرته رسوله وإمهال الكافرين) إلى الفقرة الثالثة (وظيفة الرسول الإنذار قبل الحساب) ضمن المحور الثاني (وظيفة الأنبياء ومسيرتهم) من سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

• الانتقال من الفقرة الأولى (قصة نبي الله موسى (ع)) إلى الفقرة الثانية (قصة نبي الله إبراهيم) ضمن المحور الثاني (رسالة الأنبياء وقصصهم) من سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الشعراء: ٦٩).

• الانتقال من الفقرة الثانية (البراء من عمل المعاندين) إلى الفقرة الثالثة (التوكل على الله واللجوء إليه) ضمن المحور الرابع (وظيفة الرسول وإنذار المعاندين) من سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (الشعراء: ٢١٧).

إن تماثل البنية النحوية لجملة فعل الأمر في هذه الانتقالات الثلاثة لا تفهم بمعزل عن الوظيفة البلاغية والتداولية؛ فثبات صيغة الجملة (فعل أمر + فاعل مستتر، وقد يضاف إليها مفعول به أو متعلق آخر) لا يعني ذلك ثبات القيمة الدلالية في السياقات كلها، بل إن الصيغة التركيبية القواعدية للجملة تمثل (البنية) التي تُنجز عبرها أغراض خطابية وتداولية متعددة، وهذا ما كان يسميه الجرجاني (النظم)؛ فهو يجعل قيمة الكلام حصيلة تظافر عناصر التركيب كلها، فضلاً مقتضيات المقام الخطابي (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٢٥٩-٢٦١).

ولما كان (الأمر) عند البلاغيين إنشاءً طلبياً يستدعي حصول فعل من المخاطب وصيغته الأصلية (افعل) صارت هذه الصيغة تدل على طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، (الهاشمي، د.ت، ص ٧٠-٧٨) وبهذا فإن صيغة فعل الأمر تفتح باباً لإنجاز فعل كلامي موجّه إلى المخاطب، ولا تستنفد دلالتها بمجرد قولنا (فعل أمر)، وقد يكون هذا الفعل الكلامي (توجيهياً) وتحدد قيمته التداولية عبر علاقة المتكلم بالمخاطب، والغرض الذي يراد إنجازاه في الخطاب (حمياني، وبوغاري، ٢٠٢٤، ص ١٥٩-١٦٨).

مما تقدم فقد أدت صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ...﴾ (الأنبياء: ٢٥). وظيفة تتجاوز الطلب المجرد (طلب القول) إلى وظيفة تداولية (التبليغ والإفصاح عن مضمون محدد)، فالرسول (ص) مأمور بأن ينقل إلى المخاطبين مضموناً إلهياً، وبذلك فإن (الأمر) يؤسس هنا علاقة تخاطبية ثلاثية (المتكلم الإلهي ← الرسول

المخاطب ← الجماعة المتلقية)، وفعل الأمر هنا واسطة لنقل الرسالة وليس أمراً مجرداً، ويعاضد هذا دخول (إنما) في مقول القول الذي يضفي على الكلام اللاحق معنى القصر والتخصيص، فيكون (قل) فعلاً تمهيدياً لإبلاغ مضمون ذي قوة حجاجية. وعبر هذا الفعل يكون المخاطب (الرسول (صلى الله عليه وآله)) منفذا للفعل الكلامي وليس مصدرراً مستقلاً للمضمون، فهو يتولى وظيفة (الإبلاغ)، مع بقاء مضمون الرسالة الحجاجية خارج ذات المتكلم وهو الأمر (الله تعالى).

ومثل ذلك تكون وظيفة فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الشعراء: ٦٩)، الانتقال من التبليغ إلى أداء (فعل حكائي تعليمي) يؤديه الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو موجه إلى المخاطبين بحسب ما يكشفه الضمير في (عليهم) وهم (جماعة السامعين)، بينما يحدد مضمون الرسالة قوله المفعول به (نبأ إبراهيم)، وبذلك سيحقق أسلوب الأمر هنا فعلاً توجيهياً ذا غرض إخباري وحجائي في آن؛ لأن المقصود لم يكن أداء فعل القراءة والتلاوة عليهم؛ وإنما إنتاج أثر في المتلقين بوساطة مضمون نبأ إبراهيم وقصته مع قومه، فالقوة الإنجازية للأمر لم تتأت من الفعل (أتل) منفرداً، بل تولدت من علاقته بالمفعول (نبأ إبراهيم) وبالجار والمجرور (عليهم) وبالسباق الكلي، الذي كشف الغرض من أداء فعل التلاوة، وهو غرض تربوي حجاجي غايته الاتعاظ والانزجار عما هم عليه من الكفر والعناد.

أما دلالة فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (الشعراء: ٢١٧)، فتقدم مثلاً أكثر وضوحاً لانتقال أسلوب الأمر من مجرد طلب فعل خارجي إلى توجيه معنوي وبناء لموقف نفسي وسلوكي، فالفعل (توكل) لا يطلب حركة حسية محددة كالقول والتلاوة، بل يطلب اتخاذ موقف قلبي وسلوكي قوامه تفويض الأمر إلى الله جلّ شأنه، وبذلك كانت وظيفة أسلوب الأمر هنا التوجيه والإرشاد والتثبيت والتطمين، (علي، وعبد، ٢٠١٩، ص ٤٧-٦٤). ومن منظور تداولي تبين أن الفعل (توكل) يمثل فعلاً

توجيهياً يستهدف تغيير حالة المخاطب المعرفية والنفسية والسلوكية، ويؤدي وظيفة التثبيت النفسي وإعادة تنظيم علاقة المخاطب بالفعل وبالنتيجة المتوقعة منه. ومن تحليل الانتقالات الثلاثة الأخيرة يتبين أن المحافظة على الصيغة القياسية في بناء جملة الأمر (فعل أمر + فاعل ضمير مستتر + تتمات بنائية) لم يقلل من قدرة هذه الصيغة البنائية على إنجاز أفعال كلامية متعددة الوظائف، وقد تنوعت بين (التبليغ والإفصاح) و(التعليم والحجاج) و(التوجيه والتثبيت النفسي)، وهذا يؤكد مبدأً أساسياً في التداولية (ثبات الصيغة لا يستلزم ثبات القوة التداولية التفصيلية)؛ لأن السياق وعلاقة المشاركين في الخطاب والغرض الخطابي كلها عوامل تحدد الأثر التداولي المقصود. (كاظم وشيخان، ٢٠٢٦، ص ٢١٣-٢٤٠). ففي الوقت الذي حافظت فيه الصيغة القياسية لجملة فعل الأمر على الوضوح في بيان أركان الجملة والقوة والاقتصاد في الإنجاز الكلامي، تمكنت في الوقت نفسه من تأدية وظائف تداولية مناسبة تماماً لمقتضيات استعمالها استراتيجية لغوية مناسبة للانتقال من فقرة محددة لغرض معين إلى فقرة محددة لغرض آخر ضمن محور واحد في سورتي الأنبياء والشعراء وحققت هذه الاستراتيجية اللغوية انتقالات موضوعية في غاية الاتساق والسلاسة بشكل لا يشعر معه المخاطب بقطع في الخطاب، أو تنافر بين موضوعاته، بل هي متسقة مترابطة ترابطاً لغوياً ودلالياً بما يحقق مقاصد السورتين وأهدافهما.

الخاتمة والنائج:

وبعد هذه الجولة في تحليل الاستراتيجيات اللغوية التي استعملت في الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر في سورتي الأنبياء والشعراء في المحاور الرئيس لمقاصد السورتين، أو في الانتقالات الفرعية بين فقرات كل محور يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١- تحقق فرضية البحث الرئيسة التي وضعت في بدايته وهي: (إن الخطاب القرآني المقدس كانت له استراتيجيات لغوية خاصة للانتقالات الموضوعية داخل السورة الواحدة، تراعي مقام التخاطب وغاياته).

٢- تمكنت الباحثة من رسم مخطط معرفي يحدد مقاصد كل من سورتي الأنبياء والشعراء، وقسمت الموضوعات لكل من السورتين على أربعة محاور رئيسة لكل منهما، ثم كل محور تم تقسيمه إلى فقرات فرعية، بحسب الموضوعات التي وردت فيه، وكان هذا التقسيم لموضوعات السورتين من جهد الباحثة الخالص وتوصلت له بعد طول نظر في السورتين وتتبع ما ورد فيما من موضوعات.

٣- تنوعت الاستراتيجيات اللغوية التي استعملت لافتتاح المحاور الرئيسة لمقاصد سورتي الأنبياء والشعراء، وقد تنوعت هذه الاستراتيجيات بين جمل إخبارية وكانت على ثلاثة أصناف: (جملة فعلية ذات فعل ماضٍ مقترنة بجملة حالية) استعملت مرّة واحدة، و(جملة شريطة باستعمال (إذا) وقد تكررت مرتين، و(الجملة الاسمية البسيطة أو المؤكدة) وقد استعملت ثلاث مرات. استعملت استراتيجية الجمل الإنشائية أيضاً للانتقال بين المحاور الرئيسة في سورة الشعراء، وقد استعملت جملة الأمر مرّة واحدة وجملة النهي مرّة واحدة.

٤- بلغت نسبة استراتيجيات الجمل الإخبارية في الانتقالات الموضوعية في المحاور الرئيسة (٧٥٪) في حين بلغت الانتقالات باستعمال جمل إنشائية (٢٥٪)، وكانت الانتقالات بين المحاور الرئيسة في سورة الأنبياء كلها باستعمال الجمل الإخبارية، أما في سورة الشعراء، فاستعملت الجمل الإخبارية بنسبة (٥٠٪) مقابل الإنشائية.

٥- تنوعت الاستراتيجيات المستعملة للانتقالات الموضوعية بين الفقرات الفرعية لكل محور من المحاور الرئيسة في سورتي الأنبياء والشعراء، وقد بلغ مجموع الاستراتيجيات اللغوية المستعملة في الانتقالات الفرعية (٣٤) أربعاً وثلاثين استراتيجية لغوية تنوعت بين استراتيجيات الجملة الخبرية، واستراتيجيات الجملة الإنشائية.

٦- بلغت نسبة استراتيجيات الجملة الإخبارية المستعملة في الانتقالات بين الفقرات الفرعية (٥٩٪) قياساً إلى مجموع الاستعمالات، أما استراتيجيات الجمل الإنشائية فبلغ مقدار نسبتها المئوية (٤١٪).

٧- تنوعت الدلالات التداولية للاستراتيجيات اللغوية التي حققتها عبر البنية التركيبية، والسياق، ومقام المتخاطبين، ومتطلبات التخاطب، فقد تنوعت استراتيجيات الخطاب التداولية وكان من بينها الاستراتيجيات التوجيهية، والحجاجية، والتقديرية، والإقناعية، وغيرها، وقد حققت هذه الاستراتيجيات التخاطبية مقاصد الخطاب القرآني بموضوعاته المتعددة والمنوعة عبر انتقالات لغوية مرنة ومتقنة في البناء، ومراعاة متطلبات الخطاب المعجز.

التوصيات: استكمالاً لهذا المنهج البحثي، توصي الباحثة بالآتي:

- ١- بمتابعة البحث في دراسة الاستراتيجيات اللغوية في الانتقالات الموضوعية لسور القرآن الأخرى، ولا سيما السور المدنية؛ إذ كان هذا البحث مخصصاً لسورتين مكيتين.
- ٢- دراسة الاستراتيجيات اللغوية في موضوعات قرآنية محددة، مثل الاستراتيجيات اللغوية في آيات الأحكام (آيات الصلاة مثلاً) أو (آيات الحج مثلاً).

المصادر والمراجع:

- ابن جني، ع. ب. ج. (١٩٥٤). الخصائص. (تحقيق، النجار، م. ع.). دار الكتب المصرية.
- ابن عاشور، م. أ. ب. (١٩٨٤). التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية، ع. ب. غ. (١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (تحقيق، الشافعي، ع.). دار الكتب العلمية
- ابن كثير، إ. ب. ع. (١٩٩٩)، تفسير القرآن العظيم، (تحقيق، سلامة، س. ب. م؛ ط. ٢). دار طيبة.
- ابن هشام الأنصاري، ع. ب. ي. (٢٠٠٥). شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، (تحقيق، الدقر، ع.). دار الخير.
- ابن هشام الأنصاري، ع. ب. ي. (١٩٨٥). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. (تحقيق، المبارك، م. & حمد الله، م. ع.). دار الفكر.
- ابن يعيش، م. أ. (٢٠٠١). شرح المفصل للزمخشري. دار الكتب العلمية.
- أبو السعود، م. ب. م. (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي.
- إدريس، غ. ص. & توفيق، م. د. (٢٠٢٤). بلاغة تراكيب اللام المزلحقة في سياق الإيمان والعقل والفكر في القرآن الكريم. مجلة المعرفة للعلوم الإنسانية. (١)، ١٢٧-١٤٤.
- إسماعيل، ن. س. (٢٠١٥). دلالة أنماط الجملة الشرطية الجازمة على المعنى في سورة آل عمران. مجلة الآداب. ٢(١١١)، ١٩٣-٢١٤.

العدد: ٥٦
المجلد: ٢
السنة: ٢١
١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

الاسم: أبحاث الدعوة للانتقالات الموضوعية في سورتي (الأنبياء) و(الشعراء)
مقاربة تداولية لبنية الخطاب القرآني

- الأندلسي أبو حيان، م. ب. ي (١٤٢٠هـ). البحر المحيط في التفسير. (تحقيق/دقي م. ج.). دار الفكر.
- برارات، ع. (٢٠٢٠) الأبعاد التداولية في استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي الشهري. دراسات وأبحاث، ١٢ (٢)، ٣٦١-٣٧٠.
- التفازاني، س. د. (١٩٩٨). المطول شرح تلخيص المفتاح. دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، ع. ق. (١٩٩٢). دلائل الإعجاز. (تحقيق، شاكر م. م.). مطبعة المدني.
- حسّان، ت. (٢٠٠٦). اللغة العربية معناها ومبناها. (ط. ٥) عالم الكتب.
- حمياني، ف. ز، & بوغاري، ف. (٢٠٢٤) الفعل الكلامي الأمر في القرآن الكريم ودلالته التداولية مقارنة تداولية. فصل الخطاب. ١٣، (٣)، ١٥٩-١٦٨.
- خليل، ع. ح. (٢٠٢٢) لام التوكيد المزلقة، في سورة الحج: دراسة نحوية دلالية. مجلة العلوم التربوية والإنسانية، (١٧)، ١٠٢-١١٧.
- الرازي، م. ع. (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب. دار إحياء التراث العربي.
- الزمخشري، م. ع. (١٩٨٧). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي.
- السامرائي، ف. ص. (٢٠٠٠). معاني النحو. دار الفكر.
- السامرائي، ف. ص. (٢٠٠٣). التعبير القرآني. دار عمار.
- السامرائي، ف. ص. (٢٠٠٧) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. دار عمار.
- السكاكي، ي. أ. (١٩٨٧). مفتاح العلوم. (تحقيق، زرزور، ن.). دار الكتب العلمية.
- سيويو، ع. ب. ع. (١٩٨٨). الكتاب (تحقيق هارون، ع. س.). مكتبة الخانجي.
- الشهري، ع. ظ. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد المتحدة.
- صالح، ب. ع. و. (١٤١٨هـ). الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- الطبري، م. ج. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن. (تحقيق شاكراً. م.). مؤسسة الرسالة.
- عبد الباقي، ع. م. & أحمد ج. إ. (٢٠٢١). تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة: المقاربة التداولية نموذجاً. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، ٢ (١٠)، ١١٠-١٢٦.
- علي، ع. س، & عبد م. ط. (٢٠١٩) دلالة الأمر في الخطاب القرآني. لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ٤ (٤)، ٤٧-٦٤.
- عيدان، م. ر؛ & رشيد، ب. ع. (٢٠٢٥) تحليل الاستراتيجيات التداولية والوسائل الاستعارية في الخطابات الرئاسية. مجلة مداد الآداب. ١٥ (٣٨) ص ٢٠٤٧-٢٠٨٤.
- القرطبي، م. أ. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن. (تحقيق البردوني، أ. & أطفيش، أ؛ ط.٢). دار الكتب المصرية.
- القزويني، م. ع. (٢٠٠٣). الإيضاح في علوم البلاغة. دار الجيل.
- كاطع، ع. م؛ & شيشخان، ز. (٢٠٢٦). أفعال الكلام التوجيهية في المناجاة المنظومة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) دراسة تداولية. مجلة كلية العلوم الإسلامية. ٨٥ (٣): ٢١٣-٢٤٠.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (٢٠٠٤). المعجم الوسيط. (ط.٤). مكتبة الشروق الدولية.
- محمد، ز. (٢٠٢٣) بلاغة أسلوب التوكيد في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم. مجلة اللغة العربية وآدابها، ٣٧، (١): ٤٤٣-٤٧٨.
- النحاس، أ. م. (١٤٢١). إعراب القرآن. دار الكتب العلمية.
- الهاشمي، أ. (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. المكتبة العصرية.
- Austin, J. L. (1962). How to Do Things with Words. Oxford: Clarendon Press.



- Grice, P. (1975). Logic and conversation. In p. Cole & J. Morgan (Eds.), Syntax and semantics (Vol.3, pp.41-58). Academic Press.
- Searle, J. (1969). Speech acts. Cambridge University press.

العدد: ٥٦
المجلد: ٢
السنة: ٢٠١٤
م ٢٠٢٦ / هـ ١٤٤٨

أ.م.د. تغريد عيد فليحي الخالدي



